المهدي المنتظر

دراسة في نشأة وتطور هذه الفكرة في الاسلام منذ نشأتها حتى عصر ابن خلدون

وضعها

معتوقه محمود الاسمر

للحصول على درجة

أستاذ في التاريخ العربي

من

جامعة بيروت الأمريكية

١٦/ اكتوبر / ١٩٤٨

الفهـــــرس

القســم الاولـــ

* * *

القســم الــثانــي

* * *

٠٠/٠

القسم الثالث

* * *

القسم الرابع

* * *

****

*

((القســـــــم الاولـــــــ))

----

*

((الفصـــــل الاول))

مـــدخـل

الطريقة التي يصل بواسطتها الحاكم الى كرسي الحكم ، والنهج الذى ينهجه في حكم الشعب ، مشكلتان خطيرتان شائكتان صحبتا الانسان منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا . ولقد قدم الانسان في مختلف الاقوام والامم ، والاجيال والعصور ، لهاتين المشكلتين ، حلولاً مختلفة ، عملية ونظرية ، تفاوت حظها بين الفشل والنجاح تفاوتا نسبيا . ومما لا شك فيه ان هاتين المشكلتين ستبقيان ما بقي الانسان .

اما السر في خطورة هاتين المشكلتين وعدم مقدرة الانسان على حلهما حلا نهائيا ، فلما لهما من علاقة متينة مع نفسية الانسان المعقدة وعقليته المتطورة .

وما الفكرة التي نعالجها في هذه الرسالة الا محاولة من تلك المحاولات.

* * *

كان النبي محمد المؤسس ، بل الباني ، لأول دولة اسلامية سياسية - تلك الدولة التي كانت نتيجة التطور الطبيعي السريع للدولة الدينية . او لنقل ان الاثنتين نشئتا وترعرعتا ثم شبتا جنبًا الى جنب ؛ وهكذا كان الاسلام دينًا ودنيا . كان محمد قبل كل شيء وبعد كل شيء نبيا وصاحب رسالة دينية ، وعلى هذه الصورة خرج على قومه في " مكة " يهديهم الى دينه . ولما لم تجده الطرق السلمية في التبشير في ذلك المجتمع المكي الذى لم يكن يفهم غير القوة ، هجر محمد مسقط رأسه ليعود اليها على رأس جيش ويفتحها بحد السيف . ودخلت مكة في دين الله ، كما دخلت قبلها - ولو بصورة مختلفة - شقيقتها ومنافستها "يثرب" . وهكذا النبي محمد نفسه زعيما دينيا لقيم هام - بل لاهم قسم - في جزيرة العرب . والى جانب هذه الرئاسة الدينية ظهرت له رئاسة اخرى ربما لم يكن يحلم بها قط ؛ الرئاسة السياسية لدولة عربية فتية سيطرت فيما بعد على معظم

جزيرة العرب . ومما لا شك فيه ان طبيعة تعاليم الدين الاسلامي مهدت الطريق لهذه السيادة الدنيوية . ونحن نؤكد مع بندلي جوزى [١] ان هذه التعاليم كانت استجابة اصلاح لما كانت تعانيه بلاد العرب - سبط القرشيين - من فوضى دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية : الجاهلية .

والاسلام - خاتمة الاديان ، وآخر نذير للناس قبل يوم الحساب الرهيب - يعتقد ارسخ اعتقاد ان مصير الانسان في دار البقاء متعلق باعماله في دار الفناء . ولما كان الله يحب مصلحة عباده لذلك ارسل اليهم رسوله محمدا ليفضل رسالة تشمل مستلزمات النجاة التي بموجبها يدخل المؤمن في عفو الله ورحمته وينجو من عقابه ، لينال بذلك رضاء الخالق في الدنيا والاخرة .

وهكذا كان الاسلام - من قرآن موحى به واعمال الرسول واقواله - فلسفة كاملةً تشمل دقائق الحياة الانسانية وكلياتها . وتسيطر على المؤمن وتوجهه من المهد الى اللحد . ولقد كانت هذه الفلسفة محبوكة حبكا متينا مكنها من السيطرة على مختلف مرافق الحياة الانسانية ، من سياسية واقتصادية واجتماعية ، هذا عدا عن طابعها الديني المهيمن .

ولما كان الاصل الذى تفرعت عنه خيوط هذه الفلسفة في نهضة النبي الحديدية ، لم يكن من الغريب ان يصبح رجل الدين هذا في نفس الوقت رجل الدولة .

هذا وسارت امور هذه الدولة - في طريق كلها صعوبات - سيرا فطريا وتدريجيا لدرجة يصعب علينا معها ان نُعَيِّن بالضبط متى بدأ

---

(١) تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، ١٢ - ٣٩ .

محمد يحكم ومتى تمّ له الحكم . ومهما يكن من امر فلقد تمكن من اجتياز تينك المشكلتين اللتين بدأنا بهما حديثنا دون كبير عناء : فمن البداهة ان يترأس محمد تلك الدولة التي شيد صرحها العالي بنفسه ، ومن الطبيعي ان لا يُسْأَلَ حاكم كمحمد عما يفعل طالما أنّه هو الواسطة التي تنقل الوحي الالهي - الذى كان من ضمنه تحديد صلاحيات الحكام - وطالما انه وحده المكلف بتفسير هذا الوحي لجمهرة المؤمنين .

ومما هو جدير بكل اهتمام ما دفعه المجتمع الاسلامي - منذ عهد قريب جدا بالنبي، حتى الوقت الحاضر - من ثمن باهظ جدا لسوء فهم تلك الحركة الانقلابية التي قام بها النبي . اذ ان هذا المجتمع وقع فريسة لعدة دجالين ادّعوا الاصلاح وقاموا باعبائه مقلدين النبي في كل شيء اللهم الا في صدق ايمانه ونبل مقاصده الاصلاحية .

فمن الغريب ان هذه الفلسفة التى جاء بها الاسلام والتي شملت دقائق الحياة الانسانية وكلياتها لم تتعرض بصورة واضحة لا يعتورها الشك لمسألة الحكم . فنحن اذا تركنا الحديث النبوى جانبا - وذلك لاننا لا نستطيع الاعتماد عليه في هذه المسألة لكثرة الوضع - ورجعنا الى القرآن لا نجد فيه غير اشارات غامضة مبهمة فُسِّرت بعد عصر الرسول عدة تفاسير متضاربة تتمشى مع رغبات الاحزاب السياسية المتطاحنة على الحكم .

وهكذا " توفى النبي ، ولم يعرف المسلمون ، معرفة صحيحة لا يتطرق اليها الشك ، رأيه في ولاية الحكم في الجماعة الاسلامية ، فاصبحت المسألة المهمة الشاغلة لاذهان المسلمين هي الفصل في مسألة الخلافة "(1) " التي كان ذلك المجتمع الحديث العهد في حاجة ماسة اليها ، والتي اثمرت

---

(1) جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ١٦٩

٢) - روندلدسن ، دوايت م . ، عقيدة الشيعة ، (تعريب ع . م . ، طبع مصر ، ١٩٤٦ م) .

٣) - فلوتن ، فان ، السيادة العربية ، (ترجمه عن الفرنسية ونقده وعلق عليه : حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٣٤ م) .

٤) - لويس ، برنارد ، اصول الاسماعيلية ، (نقله الى العربية : خليل احمد جلو ، جاسم محمد الرجب ، طبع دار الكتاب العربي ، مصر ،) .

(جـ) الاجنبية : -

1) Bermann, Richard A., The Mahdi of Allah, (Translated by Robin John), New York, 1932.

2) Breasted, James Henry; (i) The Dawn of Conscience, New York. London, 1944. (ii) Development of Religion and Thought in Ancient Egypt, New York, 1912.
(iii) A History of Egypt, New York, 1912.

3) Browne, Edward G., A Literary History of Persia, Vol. II, New York, 1906, Vols. III & IV Cambridge, 1928.

4) Grunebaum, Gustave E. Von., Medieval Islam, Chicago, 1945.

5) Hastings, James, Encyclopaedia of Religion And Ethics, Edinburgh, 1915.

6) Houtsma, M. Th.; Wensinck, A. J., The Encyclopaedia of Islam, Leiden, 1936.

7) Hurgronje, C. Snouck; Verspreide Geschriften, art. III, Der Mahdi, Bonn und Leipzig, 1923.

8) Mamour, Prince P. H.; Polemics on The Origin of The Fatimi Caliphs, London, 1934.

الناس بوجودها بسرعة وعلانية ، خصوصا بسبب ردة البدو العامة عن الدين الجديد ".[1]

والواقع أنّ مسألة الخلافة هذه لم تكن اول اختلاف مكشوف وقع بين المؤمنين بعد وفاة النبي ، فأول اختلاف كان حول وفاة النبي نفسه ثم اختلفوا في موضع دفنه . وتمكن ابو بكر من وضع حد لهذين الاختلافين عندما اقنع المؤمنين بوجهة نظره مستندا على القرآن[2] كما تمكن ضبط بعد من وضع حد للاختلاف الاهم الذي وقع حول مسألة خلافة النبي بأن ضمنها لنفسه ثم اوصى بها من بعده لعمر . ومما لا شك فيه ان خلافة ابي بكر كانت انتصارا " ضمن لعمل النبي دوامه واستمراره " .[3] وذلك لان الظروف التي تلت وفاة النبي - من ردة وبوادر انشقاق - كانت تتطلب حنكة الشيوخ وحزمهم ، هذا بالاضافة لما كان لهذا الشيخ من ايادٍ بيضاء على الاسلام ، ولما كان مغروسا له من احترامه في قلوب المؤمنين .

ثم نفّذت وصية ابي بكر فخلفه عمر ذو الشخصية القوية الرهيبة التي تتطلبها حالة الدولة الاسلامية في عصر الفتوح . وهل احوج للدولة في حالة الحرب من الحاكم المستبد العادل ؟ وهكذا كانت خلافة عمر انتصارا آخر للاسلام ضمن له الوحدة الداخلية مما هيأ للفتوحات الخارجية - العسكرية والدينية - احسن الظروف .

---

(1) Hurgronje, Vers. Geschriften, Vol. I, P. 148-149.

(2) البغدادي ، كتاب الفرق بين الفرق ، ص ١٢ - ١٣ .

(3) جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ١٦٩ .

ولما نفذت وصية عمر - ذات الانتخاب المحدود - فاز بمنصب الخلافة عثمان بن عفان ، احد افراد الاسرة الاموية ، التى كافحت الاسلام كفاحا شديدا . وحكم هذا الخليفة مدة ست سنين دون ان يعترى وحدة الاسلام اى انقسام ذى خطر(١) . والواقع ان هذا الرجل ضعيف الشخصية تمكن من السيطرة طيلة هذه السنوات الست بفضل قوة استمرار هيبة الخلافة التى خلقها وثبتها في نفوس الناس سابقيه على كرسيها . ولكن لما تمادى عثمان في سياسة المحاباة نحو اقاربه - او هكذا تراءى لاخصامه - وحاول الناس ان يضعوا حدا لهذه السياسة ، تصرف تصرفا لم يكن جديرا بالاحترام والمهابة : تينك الصفتين اللتين عود الناس عليهما ابو بكر وعمر ... وهكذا قتلت المعارضة هذا الخليفة معبّرة عن نفسيتها اصدق تعبير : انها ثورة على الحكم البشرى !

اسباب الخلاف

لقد عاش المؤمنون في ظل دولة النبي عيشة شطت بهم كثيرا عن الواقع الى الخيال ، كانوا فيها سكارى بالله ، لا همّ لهم الا ما يرضيه ويدخل جنته من صلاة وصيام وجهاد . كما كان لوجود النبي بين ظهرانيهم خير طمأنينة مما يخيفهم من الاخرة واهوالها . وذلك للصلة الحية التي كان النبي واسطتها بين الله والمؤمنين . وهكذا عاش المؤمنون في عصر النبي حياة ملؤها الانتظار للاخرة وللاخرة فقط . لذلك كان لوفاته في نفوسهم اسوأ الاثر لدرجة انه لم يقبلوا الاعتراف بوفاته ، بل قالوا انه رفع الى السماء ، طمعا على امل ان يعود اليهم . لقد تعودوا حكم السماء ، حكم المثالية . لذلك اوجفوا خيفة من حكم الرجال . ومهما يكن من امر فقد كان لهم في خليفتي النبي بعض ما يسليهم عن فقدانه من قوة شخصية وقدرة وتدين وتقشف وبعد عن الدنيا . ومع ذلك فلم يكن الاطمئنان لحكمهما شاملا . فلما حكم عثمان وظهر ميله الى ذويه ، وظهر اثر هذا الميل ... كشرت المعارضة لها عن انيابها .

---

(١) البغدادى ، الفرق بين الفرق ص١٤ ؛ النوبختي ، فرق الشيعة ص٤

ثم هنالك العلاقات الفردية والقبلية والاقليمية وصعوبة حكم هذا المجتمع الذى استطاع محمد صهره في بوتقة واحدة بفضل شخصيته الفذة والدين الجديد . وبعد وفاة النبي مباشرة تحركت هذه الآفات الجاهلية وبدأت تظهر للعيان رويدا رويدا . وعلى الرغم من المركز السامي الذى تمتع به ابو بكر وعمر فلقد وقع في مدة حكمهما الكثير من المنازعات - التي بدأت بطريقة صامتة - والتي كانت نواة للانقسامات الكبيرة التي ظهرت فيما بعد . فاشتبك ابوبكر ، مثلا ، مع فاطمة بنت النبي وزوجة علي بن ابي طالب - كبير ابطال الانقسام - حينما طالبت بارثها من ابيها ومنعها ابوبكر عنه بروايته عن النبي " ان الانبياء لا يورثون " (١) . واشتبك عمر مع خالد بن الوليد حين عزله عن قيادة الجيوش في معركة اليرموك ، ولم تمنع شخصية عمر القوية خالدا من التعليق على ذلك بقوله " عمر امرني على الشام وهو له مهم ، فلما القى الشام بوانيه وصار بثنية(*) وعسلا عزلني " فلما احتج عليه احدهم قائلا " هذه هي الفتنة " اجاب خالد " كلا وابن الخطاب حي "(٢). طبعا " كلا وابن الخطاب حي " !

تكاثرت عناصر الشقاق هذه واخذت تلتف رويدا رويدا حول موضوع واحد اتخذت المعارضة منه رمزا لها وحجة ، ذلك الموضوع هو خلافة النبي في حكم الامة الاسلامية . اذ انه " نشأ بين كبار الصحابة منذ بدأت مشكلة الخلافة ، حزب نقم على الطريقة التي انتخب بها الخلفاء الثلاثة الاول وهم ابوبكر وعمر وعثمان ، الذين لم يُراع في انتخابهم درجة القرابة من اسرة النبي . وقد تمثل هذا الحزب بسبب هذا الاعتبار

---

(١) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ١٣

(٢) ابن دريد ، كتاب الاشتقاق ، ص ٩٣ - ٩٤

(*) البثنة ، الارض السهلة اللينة (ابن دريد ، كتاب الاشتقاق ، ص ٢٥٤)

ان يختار للخلافة عليا بن ابي طالب ، ابن عم النبي وادنى قريب له ، والذى كان فضلا عن ذلك زوجا لابنته فاطمة . ولم يجد هذا الحزب فرصة مواتية ، يسمع فيها صوته عاليا ، الا حينما كان على رأس الدولة الاسلامية الخليفة الثالث عثمان " (١) . ومما لا شك فيه ان فكرة مناصرة علي وتفضيله على غيره لم تنشأ من العدم : فمع ان الاسلام اقر مبدأ المساواة الا انه قوى ميول العرب الارستقراطية التقليدية عندما وضع اسسا جديدة للتفوق الاجتماعي : القرب من النبي عن طريق الدم والايمان (٢) . وحظ عليّ من هاتين الميزتين قوى جدا . فهو ابن عم النبي وزوج ابنته من جهة ، وهو من جهة اخرى من اوائل الذين دخلوا في دين الله . وتدينه وفضله على الاسلام امران لا ينكرهما عليه منكر

ولامر ما اولغيره ، تكتلت المعارضة - ذات العناصر المتضاربة - حول علي هذا الذى لم يحرك ساكنا اللهم الا بعد مقتل عثمان . او على الاقل اننا لا نعلم كثيرا من الدور الذى لعبه في توجيه هذه المعارضة . وبعد مقتل عثمان انتخبت المعارضة عليا خليفة للمسلمين . بيد ان معاوية الاموى ، حاكم سوريا الداهية ، لم يعترف بهذا الانتخاب ، بل انه اعتبر عليا المسؤول الاول عن دم عثمان . ثم انه ذهب ابعد من ذلك عندما اعلن عن نفسه انه هو الخليفة الحقيقي . وهكذا التحم الاثنان - ومن خلفهما انصارهما - في حرب طاحنة ،

وفي غمرة هذه المعركة ، الحربية والسياسية ، تمكن معاوية بفضل مواهبه السياسية الفائقة من شطر اتباع علي الى الشطرين الاصليين الذين تكونوا منهما : اتباع الوراثة الشرعية - الشيعة - تدفعهم اليها الروح الثيوقراطية التي لا تعترف بغير سلطة الله على الارض . ثم جماعة الثوران الديني الذى انتهى بتطرف الخوارج المتطرف ، يدفعهم

---

(١) جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ١٦٩

(٢) Grunebaum, Med. Islam, P. 199

اليه عقلية البدو التي لا تعترف بأى نوع من انواع السلطة الدائمة (١). والواقع ان اجتماع هذين العنصرين في صعيد واحد امر غير طبيعي ابدا ؛ فأولهما عنصر سلبي مغرق في السلبية - كما اظهر تطوره الطبيعي فيما بعد . والثاني ايجابي مغرق في الايجابية . ولم يجمعهما غير طبيعة المعارضة التي كثيرا ما تجمع المتناقضات . كما وان هذه المعركة اظهرت العصيان نوع شخصية عليّ ، فخروج الخوارج من زمرة اتباعه والتفات الشيعة ،ذوي العقلية السلبية،حوله لم يكن عن عبث . فالرجل لم يخلق لقيادة الامم ، بل لقيادة معارضة هدامة لا تهدف الى شيء . " ولسنا بحاجة الى بصيرة نافذة لندرك ان هزيمته النهائية كانت امرا حتميا لا محيص عنه ، حتى اذا لم يكن خنجر قاتله قد وضع حدا نهائيا للنزاع الذى شغل به ونهض بأعبائه ." (٢)

وهكذا ، بعد مقتل علي ، ضمن معاوية بن ابي سفيان الخلافة لنفسه ، واستمر شيعة علي في عدائهم له ولاسرته الاموية الحاكمة ، وانضم اليهما الخوارج في هذا العداء - ولكن هذين العنصرين بقيا هذه المرة منفصلين بعد ان عرفا معرفة اكيدة ان لا مندوحة في تفاهمهما ، بل انهما بقيا على عداوتهما التي بدأت وعليّ على قيد الحياة .

<u>من يخلف النبي في حكم دولة المؤمنين :</u>

وكنتيجة لهذه الخلافات السياسية ظهرت في الاسلام تساؤلات رئيسية حول مركز الخلافة :

فالخلافة عند الخوارج " ينبغي ان تعقد لافضل ابناء الامة الاسلامية عن طريق الاختيار المطلق من كل قيد . وبعد ان اشترطوا حرية اختيار الخليفة استخرجوا من هذه المقدمة كل النتائج المنطقية المترتبة عليها ، فلم يخصوا الخلافة ، كما كان الحال الى ذلك الوقت ، على قوم تمتعوا وحدهم بهذا الامتياز ، بل انهم انكروه على قبيلة قريش التي ينتمي اليها النبي ، وذهبوا الى ان ((عبدا حبشيا)) لا يقل اهلية للخلافة واستعدادا

---

(١) Della Vida, Encyc. of Islam, Vol.IV, art. UMAIYADS, p.999.
(٢) جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ١٧٠

/..

لهـا مـن سـليل اعظـم القـبائل حسبا ونسبا " . [1]

وهـي عـند الشيعة وراثـية ثيوقراطـية فـي نسـل النـبي عـن طـريق ابنـته فاطـمة وزوجهـا علـى بن ابي طـالب ابن عمـه . ثم تطـورت هـذه النظـرية الثيوقراطـية تطـورا كبـيرا سـنذكـره فـي حـينه .

ولـم يحـرم الاجـتماع الاسـلامـي مـيول الخـوارج الجمهـورية كبـير اهـتمام ، اذ ان تلـك الآراء المغرقـة فـي الديمقراطـية كانت سـابقة لاوانهـا ، لـذلـك " لـم تتألف مـن الخـوارج جماعـة محـدودة ثابتـة ، كـما انهـم لـم يجتمعوا علـى خـلافـة توحـد كلمتهـم وتجـمع شـملهم ، بل اخـذت جموعهـم المتفرقـة فـي انحـاء الـدولـة بزعامة رؤسـائهـم يقلقون الولاة ويناوئونهـم ... وقـد سـارع الـى الانضـام الـى الخـوارج الطـبقات المعـدمـة الرقيقـة الحـال فـي المجـتمع الاسـلامي ، الـتي راقتهـا كـثيرا مـيول الخـوارج الـديمقراطـية واحـتجاجاتهـم علـى مظـالم الحكـام والولاة " . [2]

كـما وان مـيول الشـيعة الثيوقراطـية ، لـم تصـادف نجاحـا يـذكـر اللهـم الا فـي العصـور المتأخـرة ، بعـد ان اعتراهـا الكـثير مـن التطور واتخـذت مـن الحركـات السـرية سـلاحـا لهـا . او قل بعـد ان خرجـت عـن طابعهـا السـلبي الذي بدأت منه . هـذا وبقـي الشـيعة الـذين ثابروا علـى روح التشـيع السـلبي القـديم ، وتطـوروا حـسب مسـتلزمـاته - وهـم الشـيعة الامامـية - ابعـد اهـل الارض عـن الحكـم . وانتهـت حركتهـم بنظـرية خـيالـية لا تمـت الى الواقـع بأي صـلة ، بل هـي هـروب مـن الواقـع الـى الخـيال : المهـدي المنتظر !

امـا اهـل السـنة فانهـم اتخـذوا نظـريتهـم حـول الخـلافـة مـن الواقـع الـذى كـان حـلا وسـطا بـين نظـريتى الشـيعة والخـوارج المتطرفتين .

---

(١) جولـد تسيهـر ، العقـيدة والشـريعة في الاسـلام ، ص ١٧٠ - ١٧١

(٢) = = = = = ، ص ١٧٢

تلك النظرية التي بنيت اصولها وفروعها نتيجة لنجاح من نجح في الوصول الى كرسي الخلافة [(١)] ، الخلفاء الاربع اولا ، ثم خلافة بني امية ، ومن بعدهم بنو العباس . ولم تصر هذه النظرية الطريفة التي يصل بها الخلفاء الى كرسي الخلافة كبير اهتمام بجانب اهتمامها بما على الخليفة من واجبات دينية ودنيوية عليه ان يقوم بها . لذلك كان سواد اهل السنة يلتف حول اى خلافة تقوم ، بينما يناصبها الشيعة — وفي العصر الاموي الخوارج ايضا — العداء .

وقبل ان ننتقل من الكلام عن هذا الانقسام حول فكرة الخلافة علينا ان نذكر ، ولو بايجاز ، فئة رابعة شذت فقالت بعدم وجوب هذا المنصب لا بالعقل ولا بالشرع ، والواجب عندها هو امضاء حكم الشرع ، " فاذا تواطأت الامة على العدل ، وتنفيذ احكام الله تعالى لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه ". [(٢)] وربما كان الدافع الذي دفع هذه الفئة الى هذا الاتجاه هو ما وصل اليه المسلمون من انشقاق حول منصب الخلافة هذا . ولقد ذابت هذه الفئة على مر الايام كما ذابت فرق الخوارج ، وبقي الصراع محتدما ما بين الشيعة والخلافة (ومن ورائها اهل السنة) ، صراع كانت فكرة المهدية — ظهورها وتطورها — مظهرا من مظاهره .

الشيعة والحكم الاموي :

ومما لا شك فيه ان انتصار الامويين في الوصول الى كرسي الخلافة كان ضربة قاضية اصيب بها اشياع علي ، لذلك ناصب هؤلاء

---

(١) راجع : النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٦ وما يليها .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٢ ، راجع ايضا : النوبختي ، فرق الشيعة ص ١٠ ، الغزالي ، فضائح الباطنية ، ص ٥٩ .

/..

تلك النظرية التي بنيت اصولها وفروعها نتيجة لنجاح من نجح في الوصول الى كرسي الخلافة [(١)] ، الخلفاء الاربع اولا ، ثم خلافة بني امية ، ومن بعدهم بنو العباس . ولم تصر هذه النظرية الطريقة التي يصل بها الخلفاء الى كرسي الخلافة كبير اهتمام بجانب اهتمامها بما على الخليفة من واجبات دينية ودنيوية عليه ان يقوم بها . لذلك كان سواد اهل السنة يلتف حول اى خلافة تقوم ، بينما يناصبها الشيعة — وفي العصر الاموي الخوارج ايضا — العداء .

وقبل ان ننتقل من الكلام عن هذا الانقسام حول فكرة الخلافة علينا ان نذكر ، ولو بايجاز ، فئة رابعة شذت فقالت بعدم وجوب هذا المنصب لا بالعقل ولا بالشرع ، والواجب عندها هو امضاء حكم الشرع ،" فاذا تواطأت الامة على العدل ، وتنفيذ احكام الله تعالى لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه ". [(٢)] وربما كان الدافع الذى دفع هذه الفئة الى هذا الاتجاه هو ما وصل اليه المسلمون من انشقاق حول منصب الخلافة هذا . ولقد ذابت هذه الفئة على مر الايام كما ذابت فرق الخوارج ، وبقى الصراع محتدما ما بين الشيعة والخلافة (ومن ورائها اهل السنة) ، صراع كانت فكرة المهدية — ظهورها وتطورها — مظهرا من مظاهره .

الشيعة والحكم الاموي :

ومما لا شك فيه ان انتصار الامويين في الوصول الى كرسي الخلافة كان ضربة قاضية اصيب بها اشياع علي ، لذلك ناصب هؤلاء

---

(١) راجع : النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٦ وما يليها .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٢ ، راجع ايضا : النوبختي ، فرق الشيعة ص ١٠ ، الغزالي ، فضائح الباطنية ، ص ٥٩ .

../

الخلافة الاموية اشد العداء . ومن الطبيعي ان يقابل خلفاء بني امية هذا العداء بمثله ، فمنذ عهد بكر بدأ معاوية ، بعد ان استقر له امر الخلافة بعمل القتل والتشهيد في اتباع علي ، حتى في اليمن البعيد حيث ارسل قائده سيار بن نزار ليعمل القتل فيهم[1]. ولم يترك معاوية ، ومن خلفه اهل الشام ، اى وسيلة لوضع حد لحركة التشيع الا وفعلوها "ثم ارتقى بهم الامر في طاعته ان جعلوا لعن عليّ سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير . قال المسعودي وذكر بعض الاخباريين انه قال لرجل من اهل الشام من زعمائهم واهل الرأي والعقل منهم من ابو تراب الذى يلعنه الامام على المنبر . فقال اراه لصا من لصوص الفتن "[2] . كل هذا ودماء الشيعة تغلي ، وصدورهم تغلي حقدا على هذه الدولة التي لم تكن في نظرهم شرعية ، واخذوا يتحينون الفرص للانقضاض عليها ، وفي عهد يزيد بن معاوية تحينوا للانتقام فرصة " دل اختيارهم لها على الطيش وقصر النظر "[3] . اذ انها انتهت بانكسارهم الشنيع في معركة كربلاء التي قتل فيها الحسين بن علي ومعظم مَنْ كان معه من الشيعة واهل البيت . ومما لا شك فيه ان معركة كربلاء هذه كانت نقطة تحول في التاريخ الشيعي ، فهي آخر عمل ايجابي نال اجماع الشيعة . وبعد هذه المعركة سار ذلك الاجماع في مضمار العمل السلبي الصوفي واخفق فيه ، بينما اخذ يعتبر كل حركة ايجابية يقوم بها احد افراد البيت العلوي خروجا عن التشيع ، لقد

---

(١) ابن دريد ، كتاب الاشتقاق ، ص ٧٢

(٢) المسعودي، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ٨٠

(٣) جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ١٧٦

../.

لمس الشيعة في هذه المعركة ضعفهم امام قوة الامويين ، فاختفت قوتهم من على سطح الارض لتعمل تحتها ، واول حركة عسكرية قام بها رجل باسم العلويين بعد معركة كربلاء - ثورة المختار في العراق للاخذ بثأر الحسين باسم محمد بن الحنفية - قاومها اشراف الشيعة اكثر مما قاومها الامويون .

وهكذا بعدت الشقة بين هذين البيتين الاموي والعلوي ، وكان الواحد منهما يتعمد - بشعور وبدون شعور - نكاية الثاني بشتى الوسائل ، حتى ان اعمالهم واقوالهم كانت ابدا تتخذ شكل التنافر ، اهتم الامويون بامور الدنيا فأغرق العلويون بامور الدين ، واعار الامويون السياسة جانبا كبيرا من اهتمامهم ، فأسرف العلويون في البعد عنها ...

<u>الاتجاه عموما والحكم الاموي :</u>

ان بذور الزهد والعبث وجدت في الاسلام منذ نشأته فناحية الزهد من حياة النبي واصحابه امر معروف ، واستعمال حافز الغنائم في الجهاد ترك آثارا قوية ادت الى الترف . ومنذ بدء الحكم الاموي اخذ هذان المظهران من مظاهر الحياة الانسانية يفترقان شيئا فشيئا ، بل اصبحا متناقضين - لغلو اتباع كل منهما في السير في طريقته : سار جماعة المترفين الدنيويون في طريق الدنيا ، وسار جماعة الزهد في طريقهم ، حتى تطورت حركتهم - فيما بعد - الى التصوف . وشهد العصر الاموي اشد مراحل هذه الحركة خطورة (١)
ولقد كانت حركة الزهد هذه شبيهة الشبه بحركة التشيع من حيث

---

(١) جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ١١٩ - ١٣٦ .
فان فلوتن ، السيادة العربية ، ص ٢١ - ٢٦ .

./..

سلبيتهما ، بل قل انها فاقتها في السلبية . وكما نظر العلويون الى علي كنظرهم الاعلى للامام الحاكم ، واضافوا اليه الكثير من القداسة ، كذلك نظر هؤلاء الزهاد الى دولة الخلفاء الراشدين بعد ان احاطوها بهالة من التقديس ، ونظروا اليها من زاويتهم الزهدية فحسب . وكلما سار الامويون قدما في طريقهم الدنيوي ازداد استياء هؤلاء الحالمين السلبيين منهم ومن دولتهم الدنيوية ، وازدادت دولة الراشدين في نظرهم قدسية وسموا . ومما لا شك فيه ان رأي هؤلاء الاتقياء الزهاد في مثالية دولة الخلفاء الراشدين قد تغلب على معظم الآراء ، حتى في بعض الدوائر الشيعية . فالمؤرخ الشيعي ابن الطقطقي يقول عن هذه الدولة " واعلم انها دولة لم تكن من طراز دول الدنيا وهي بالامور النبوية والاحوال الاخروية اشبه والحق في هذا ان زيها قد كان زي الانبياء وهديها هدى الاولياء "[1] . كما وانهم مسؤولون - بالاشتراك مع غيرهم من اخصام بني امية - عن الفكرة الخاطئة التي صوروا بها الامويين كأعداء للدين الاسلامي . فبالرغم من قول ابن الطقطقي في معاوية انه كان " مصروف الهمة الى تدبير امر الدنيا يهون عليه كل شيء اذا انتظم امر الملك "[2] . فلا يمكننا الحكم على هذا الرجل بالخروج عن الدين كما فعل الزهاد (والشيعة والخوارج) ، ومما لا شك فيه ان الخبر الذي قرأه المسعودي

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٨٩ .

(٢) = = = = ص ١٣٠ .

../..

في بعض كتب التواريخ والذى يقول " بخلافة الحسن صح الخبر عن رسول الله صلعم الخلافة بعدى ثلاثون سنة " [1] ، اقول ان هذا الخبر من وضع هؤلاء الزهاد .

ونحن اذا نظرنا الى سلوك بعض الخلفاء الامويين من الناحية الدينية الصرفة ، فانا نجد فيهم خروجا عن بعض ما يتطلبه الدين ، او قل تحررا تتطلبه المكان والزمان الجديدين ، فالخليفة الثاني ، يزيد " كان صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب ... وغلب على اصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق ، وفي ايامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي واظهر الناس شرب الشراب " [2] ، ولكن هذا التحرر لم ينفرد به الامويون وحدهم ، اذ انه كان عاما بين معظم سكان الحجاز وسوريا ، بما فيهم العلويون انفسهم .

فهذا محمد بن علىّ بن ابى طالب ، الملقب بابن الحنفية ، الذى آزره قسم لا بأس به من الشيعة ورشحه لمنصب امامة المؤمنين ، واعتقد بعضهم بأنه المهدى الذى اجتباه الله لتحرير الاسلام ، فاسمع ما ينقله لنا ابن سعد من اخباره : " ... عن ابى ادريس قال رأيت ابن الحنفية يخضب بالحناء والكتم فقلت له اكان علىّ يخضب ؟ قال لا . قلت فما لك ؟ قال اتشبب به للنساء " . " حدثنا عبد الواحد بن ايمن قال ارسلني ابى الى محمد بن الحنفية فدخلت عليه وهو مكحل العينين مصبوغ اللحية بحمرة فرجعت الى ابى فقلت ارسلتني الى شيخ مخنث

---

(١) مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ٧ .

(٢) = = = = ص ١٥٦ - ١٥٧

../.

فقال يا ابن اللخناء ذاك محمد بن عليّ " هذا ورآه احدهم وهو يشرب نبيذ الدن .(١)

وامثال ابن الحنفية - سيما ابناء كبار الصحابة والفاتحين - في هذا العصر كثيرون جداً . ولكن طبيعة الناس في اتهام الحاكم وتحميله تبعات اعمال الرعية ، والمعارضة التي لا ترحم ولا ترى غير المثالب ، وعدم تقدير القصيرى النظر للظروف الجديدة مع مبالغتهم في الرفع من شأن عصر الراشدين ... كل هذا حدا بهم الى الاسراف في نقد ومعاداة بني امية ما ادى الى عدم تقدير الخدمات الجلى التي قدموها للاسلام .

والواقع ان الحكم الاموي كان صفعة قاسية للعناصر الثلاث التي عارضت الخلافة الاموية ، فلقد كان للطابع الدنيوي ، والنظام والتقييم الوراثي الثابت على دست الحكم ... كان لهذه المسائل التي سار عليها الامويون في دولتهم ، اوقع الاثر في نفسية الخوارج الثوار الدينيين والكارهين لكل نظام دنيوي ، والطالبين بانتخابات ديمقراطية حرة للحصول الى كرسي الخلافة ، ذلك الكرسي الذي يسمو على انه ديني ودنيوي فحسب . اما اولئك الحالمون السلبيون ، بقايا الذين لم يعترفوا بموت محمد ، والذين بقيت عيونهم مسمرة تنظر الى دولة الراشدين المثالية في نظرهم (الاتقياء والزهاد) ، او الى شخصية عليّ التي كانت ابدا في صعود (الشيعة) ، نقول اما اولئك الحالمون فانهم دأبوا على حلمهم ينتظرون دولة الله على هذه الارض .

---

(١) كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٨٥ .

وما زاد في ثورة هذه المعارضة للحكم الاموي حدةً تاريخ عائلة معاوية : بني امية الذين حاربوا الاسلام ونبيه حتى آخر لحظة ، والذين لم يسلم عميدهم ابو سفيان اللهم الا بعد فتح مكة وانتصار الاسلام النهائي. اضف الى ذلك كون مؤسس هذه الدولة ، واول خلفائها ، لم يكن من قدامى صحابة النبي . فكيف يعقل يجعل كهذا امارة المؤمنين ؟ اضف الى هذا كله الطابع الدستوري الجديد الذي انطبعت به هذه الدولة " فالخليفة لم يعد المنفذ او المتم لسنة محمد ، التي شهدها منذ نشأتها . فهو لذلك شيء آخر : انه الشخصية البارزة في العالم العربي ، الاول بين شيوخ القبائل في القوة العسكرية والروابط العائلية والنفوذ والمظهر الفردي ؛ وهو في الواقع ، وان لم يكن ملقب رسميًا ، " ملك " او بالاحرى " طاغية " بمفهوم الكلمة الاغريقي " (1) .

وهكذا ، ومنذ عهد مبكر في الحكم الاموي ، اتسعت شقة الخلاف بين الدولة ومعارضيها : سار الامويون حسب السياسة الواقعية التي انتهجوها . وسار كل فريق من فرق المعارضة الثلاثة حسب تصوراته ومثله العليا : اما الخوارج فاعطوا لانفسهم حرية انتخاب رؤسائهم ، الذين اعطوا القتال نسبا بينهم من جهة وبينهم وبين الغاصب الاموي من جهة اخرى . واما اشياع علي - بعد مقتل الحسين - فاستردوا صلتهم بالله عن طريق صفات وميزات الهية منحوها للأئمة من ولد علي : امامة الهدى ! هذا وتسرب الزهاد والاتقياء رويدا رويدا من هذه الدنيا الى الله الذي اقاموا بينهم وبينه صلة مباشرة : الصوفية !

---

(1) Della Vida, Encyc. of Islam, Vol. IV, art. Umaiyads; p. 999.

ومما لا شك فيه ان هنالك فرقا كبيرا بين مفهوم دولة الاسلام عند المعارضة وعند الامويين ، عند الحالمين المثاليين الذين لم يجربوا الحكم ، وعند الواقعيين الذين اصبحوا مسؤولين عن ادارة دفة الدولة الاسلامية . لقد كانت هذه المعارضة تحلم بمملكة ليست في هذا العالم ،بينما انهمك الامويون في خدمة مملكة الواقع . لقد قطع الامويون قطعا صريحا في امر وفاة النبي ، بذلك انقطعت كل الصلات الحية بالخالق . وبوفاة النبي كمل الدين الاسلامي الذي لا نشك بصحة ايمانهم فيه رغم مزاعم المعارضة . وانتهجوا لخدمة هذا الدين نهجا جديدا بكل احترام وتقدير ، وهل هنالك افضل من نشره في خارج حدود دولة الاسلام ؟ ولما كانت الدولة هي الجهاز الوحيد لنشر هذا الدين لذلك قرنوا نشره بتوسع الدولة . والدولة لا تستطيع الى ذلك سبيلا ما لم تكن وضعيتها الداخلية تساعد على ذلك .بيد ان احزاب المعارضة لم تفهم ذلك بل انها كانت ابدا مصدر قلق لهذا الوضع الداخلي ، لذلك نظر اليهم الامويون كأعداء للدين والدولة .[1] والامويون اذا ما اقدموا على قتل الحسين وزيد او اذا ما حولوا الناس عن الحج الى الكعبة ، او حتى اذا ضربوها بالمنجنيق او قتلوا اي عدد من الثوار المسلمين ، فهم يعتقدون انهم بذلك يخدمون دولة الاسلام ابتغاء مرضاة الله . ولقد استوجبت اعمال الامويين هذه لعنة الاجيال القادمة ، بله المعاصرة ، وهاك ما يقوله البيروني في معركة الحرة " وهي التي قتل فيها بنوا امية اهل المدينة وانتهبت اموالهم وهتكت ستور المهاجرين والانصار وفضحت نساؤهم فلعن الله من لعنه رسول الله صلعم وآله من المحدثين في المدينة "[2]

---

(١) جولد تسيهر ،العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٧٠ - ٧٣ ،

Della Vida, Encyc. of Islam, Vol. IV, art. Umaiyads,p.999.

(٢) الآثار الباقية ، ص ٣٣٥

هذا وسار خلفاء بني امية في ملاحقة معارضي دولتهم ولم يشذ عنهم غير الخليفة التقي عمر بن عبد العزيز الذي يصفه دللا فيدا بأنه كان " ذا صفات سامية وانه كان موهوبا بشعور حسي بالدقائق ".[١] غير ان سياسة التسوية التي انتهجها بقصد توحيد صفوف الاسلام مرت من فوق الرؤوس دون ان تترك اثرا عمليا . هذا اذا نحينا جانبا الذكرى الطيبة الذى نالته شخصية هذا الخليفة الذى اعتبرته المعارضة واحةً في تيه الحكم الاموى البغيض . فوجد الاتقياء في حكمه ما يذكرهم بحكم الراشدين من تشديد في امور الدين وبعد عن الدنيا ، اذ انه عزل من عماله من كان يظهر العصبية .[٢] " وتكشف عمر اعمال اهل بيته وسماها مظالم وكتب الى عماله جميعا اما بعد فان الناس قد اصابهم بلاء وشدة وجور في احكام الله وسنن سيئة سنتها عليهم عمال السوء قلما قصدوا قصد الحق والرفق والاحسان . ومن اراد الحج فعجلوا عليه عطاءه حتى يتجهز منه ولا تحدثوا حدثا في قطع وصلب حتى تؤامروني ".[٣] كما وحاول استمالة شيعة علىّ بشتى الوسائل ، فامر عامله على المدينة ان يفرق في ولد علىّ عشرة آلاف دينار[٤] ، ورد اليهم ايضا فدك[٥] ، واوقف عادة شتم علىّ على المنابر وكتب بذلك الى الآفاق[٦] . فاستحق بذلك عطف الشيعة ومحبتهم وبعد وفاته رثاه بعض شعرائهم مثل كثير[٧]

---

(١) Della Vida, Encyc. of Islam, Vol. IV, art. Umaiyads p. 1002.

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ .

(٣) = = = = ٣٦٦ .

(٤) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٢١ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ .

(٦) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ٤١٩ ، ابن الطقطقي ، الفخرى في الآداب السلطانية ، ص ١٠٤ .

(٧) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ .

../.

والشريف الرضي [١] . ولقد بالغ الشيعة في احترام هذا الرجل حتى ان كبار محدثيهم رووا الاحاديث النبوية (او العلوية) التي دخل عمر في سلسلة رواتها [٢] وقالوا في موته " ان اهل بيته سموه خوفا من ان يخرج الامر منهم " [٣].

ونحن اذا استثنينا هذا الخليفة التقي المتسامح ، نستطيع القول ان خلفاء بني امية ساروا في معاملتهم لاحزاب المعارضة سيرة لا هوادة فيها .

النهج الذي ينهجه الخليفة في حكم الشعب

ان اسباب المعارضة التي ذكرناها حتى الان تنحصر في مسألة " الطريقة التي يصل بها الحاكم الى كرسي الخلافة الاسلامي " . تلك الاسباب التي تكتلت حول مشكلة الخلافة . وقبل ان نذكر شيئا من مجموعة اخرى من الاسباب علينا ان نذكر ان الاسباب الاولى لم تزل من الوجود ، انما بقيت حية تعمل جنبا الى جنب مع اسباب المعارضة التي ظهرت بعدها ، وربما كانت نتيجة لها ، والتي التفت معها حول مشكلة الخلافة .

اما المجموعة الثانية فكانت بالدرجة الاولى ناتجة من ثورة الشعوب المحكومة ضد ما سموه ظلم الولاة والخلفاء . فهي

---

(١) ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١٥٥ .

(٢) راجع : الكليني ، اصول الكافي ، ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٥٢٧ ، ٦٢٦ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ .

../..

لذلك اسباب اقتصادية واجتماعية ودينية وشعوبية . ولقد بدأت اسباب المعارضة هذه بمقتل عمر بن الخطاب ، الذى قتله مولى فارسي مظلوم ثم استمرت في الثورة ضد عثمان ، غير انها لم تبدأ بصورة جدية الا في ثورة المختار بن عبيد الثقفي الذى كان معظم انصاره من الموالي المتظلمين من ضرائب اسيادهم وجزية الدولة الاموية : انها ثورة في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية .

ونحن نستطيع ان نتبين فوارق هامة بين هاتين المجموعتين من الاسباب :

المجموعة الاولى قامت على اكتاف العرب ، بينما قامت الثانية على اكتاف غير العرب سيما الفارسيين .

المجموعة الاولى قديمة ، فيدعي الشيعة ان الخلاف على خلافة النبي ظهر وهو على قيد الحياة . بينما ظهرت الثانية للعيان اثناء ثورة المختار .

الاسباب الاولى سياسية محضة ، بينما سرعان ما تطورت الثانية الى اسباب دينية صرفة .

وهكذا اختلطت هاتان المجموعتان من اسباب المعارضة والتفتا حول مسألة الخلافة . واصبح الوضع في العصر الاموى - ومن بعده العباسي - مؤلفا حقا : حكومة تحكم امبراطورية واسعة يعتقد عدد لا بأس به من افراد شعبها بعدم شرعيتها ، ويلقي هؤلاء تبعة ما يعانونه من ضائقات اقتصادية واجتماعية وعنصرية ودينية عليها . ويندس بين جموع هذا الشعب المتبرم اناس يدعون الاصلاح ، وهم ابعد اهل الارض عنه ، انهم انانيون نفعيون لا يهدفون الى شيء الهم الا الوصول الى كرسي الحكم . وحتى يتمكنوا من كسب اعوان

يصلوا على ظهورهم الى اهدافهم المنشودة اتبعوا اسوأ الطرق : التهويل ! اخذوا يتكلمون لهم باسم الدين الذى يبني عليه ذلك المجتمع ، او قل انهم اخذوا يستغلون الدين لمصالحهم الشخصية السياسية : راحوا يصورون لهم ان الارض قد " ملئت ظلما وجورا " وانها ستبقى كذلك بل انها ستزداد ظلما فوق ظلم وجورا على جور ، حتى يصلوا هم ، او مرشحوهم الى كرسي الخلافة : " المهدى المنتظر " عندها " ستملأ الارض قسطا وعدلا " (!) فماذا كانت النتيجة ؟ قيام عشرات من هؤلاء المتمهدون بثورات عديدة انهكت العالم الاسلامي : فشل معظمها ، ونجح البعض . فماذا عمل ؟ انه " ملأ الارض قسطا وعدلا " بقدر ما " ملئت ظلما وجورا " (!) او قل انهم هم الذين " ملؤوا الارض ظلما وجورا " فالثورات المتعددة ، والحروب المتكررة كانت وبالا بالدرجة الاولى على ذلك الشعب الذى تطوعوا لرفع نير الظلم عن كاهله (!)

=======

((الفصـــل الـثانـي))

محمد بن الحنفية

المهدى الاول

تجمع المصادر التي رجعنا اليها ان محمد بن الحنفية هو اول شخص في التاريخ الاسلامي حَمَلَ ، او بالاحرى حُمِّلَ ، اثناء حياته لقب " المهدى " بمفهومه " المسيحي " (×) . ولما ظهرت هذه التسمية لاول مرة اثناء ثورة

(×) شذ عن ذلك فان فلوتن (السيادة العربية ، ص ١٤٤ - ١٤٥) حيث يقول : " روى ابن سعد حديثا جاء فيه ان موسى بن طلحة هو المهدى المنتظر " . اما الخبر الذى يشير اليه فان فلوتن فهو : (ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ١٢٠ - ١٢١) " قدم الكذاب المختار بن ابى عبيد الكوفة فهرب منه وجوه اهل الكوفة فقدموا علينا هاهنا البصرة وفيهم موسى بن طلحة بن عبيد الله قال وكان الناس يرونه زمانه هو المهدى قال فغشيهم ناس من الناس وغشيته فيمن غشيه فاذا شيخ طويل السكوت قليل الكلام طويل الحزن والكآبة الى ان قال يوما من الايام والله لأن اكون اعلم انها فتنة لها انقضاء احب اليّ من ان يكون لي كذا وكذا واعظم الخطر فقال رجل من القوم يا ابا محمد ما الذى ترهب واشد ان تكون فتنة قال ارهب الهرج قال وما الهرج قال الذى كان اصحاب رسول الله صلعم يحدثون القتل بين يدى الساعة لا يستقر الناس على امام حتى تقوم الساعة عليهم وهو كذلك وايم الله لئن كان هذا لوددت اني على رأس جبل لا اسمع لكم صوتا ولا ارى لكم داعيا حتى يأتيني داعي ربي . " فلا ذكر في هذا الخبر كما نرى ، الى مهدى منتظر وكل ما في الامر ان موسى بن طلحة (المتوفى سنة ١٠٣ = ١٠٤) هذا رأى من الحكمة عدم الانغماس في تلك المشاكل التي انغمس فيها الناس ، فوصفه بعضهم بأنه مهدى ، او المهدى اى انه لم ينغمس في تلك المشاكل ، لا اكثر ولا اقل . ونستطيع لذلك ان نحكم على فان فلوتن بأنه اساء فهم هذا الخبر ففسره على انه قيل فيه بمعنى " مسيحي " ا . هـ

المختار (٦٦ = ٦٨٥) في العراق - تلك الثورة الشيعية التي ازكى نارها من جديد مقتل الحسين بن علي في معركة كربلاء (٦١ = ٦٨٠) - لذلك كان من الضروري ان ندرس هذه الثورة بشيء من التفصيل . ولعلاقة هذه الثورة بحركة محمد بن الحنفية من جهة ، وحركة عبد الله ابن الزبير من جهة اخرى . لذلك كان علينا ان ندرس ثلاث حركات كما تتمثل في ثلاثة اشخاص هم ابطال لها : محمد بن الحنفية ، المختار ، عبد الله بن الزبير ؛ والعلاقة القوية بين هؤلاء الثلاثة من جهة والدولة الحاكمة من جهة اخرى وجب علينا ان ندرس بشيء من التفصيل تلك الفترة العصيبة من تاريخ الدولة الاموية ، التي تبدأ باستشهاد الحسين وتنتهي باعتراف ابن الحنفية بخلافة عبد الملك بن مروان (٧٣ = ٦٩٢) (×) .

ان هذه الفترة من اصعب الفترات في التاريخ الاسلامي ، اربعة اشخاص (على الأقل) ينازعون الخليفة الاموي خلافته ، كلهم يريدها لنفسه ! فأي فوضى دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية وقع فيها العالم الاسلامي . وأي ازمة نفسية كان يعانيها مسلموا تلك الفترة سيما الاتقياء والزهاد منهم ! وأي فجيعة كان يفجعها المؤمنون

(×) رغم الدور الهائل الذى لعبه الخوارج في هذه الفترة ، غير اننا سوف لا نعيرهم كبير اهتمام وذلك لعدم تركهم اثرا مباشرا في ظهور وتطور فكرة المهدية التي نحن بصددها ، ومما لا شك فيه انه كان لحركاتهم اثرا غير مباشر في ذلك ، فحالة القلق - التي كان الخوارج وحروبهم من اهم بواعثها - كانت من اهم البواعث على ظهور وتطور فكرة المهدية .

حينما كانوا يمنعون من الحج الى الكعبة ويردون عنها الى صخرة بيت المقدس [١] ؟ وأي اسى كان يتسرب الى نفوسهم حينما يسمح لهم بالحج الى مكة فيرون بأم اعينهم تفرق المسلمين كما حدث سنة ٦٨ ، اذ فيها " وقفت اربعة الوية بعرفات محمد بن الحنفية في اصحابه وابن الزبير في اصحابه ونجدة بن عامر الحروري ولواء بني امية وقال المساور بن هند بن قيس وتشعبوا فكل قبيلة فيها امير المؤمنين " [٢] .

حالة مؤلمة تتطلب العلاج العاجل ، ولقد بعث الامويون الواقعيون منه عقد رجل حازم يخاطب الناس بهذا الكلام ، " والله لئن بقيت لكم لاتجسرنكم تجسر العود ولأؤدبنكم أدبا سوى هذا الأدب " [٣] . وكان لهم ما ارادوا ، فسرعان ما اخذ الحجاج بن يوسف يؤدب الناس بغير ادبهم ويمهد الطريق لسيادة الدولة المطلقة .

والآن وبعد هذا التمهيد نعود الى ابطال هذه الفترة التي نحن بصددها .

<u>عبد الله بن الزبير</u> : [٤]

قائد قرشي نازع الامويين الخلافة طيلة تسع سنوات . ولد سنة (١ = ٦٢٢) وقتله الحجاج سنة (٧٣ = ٦٩٢) . كان من

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

(٢) = = = = = ٣١٤ . ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٧٥ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٩٨ .

(٤) ملخصة من التعريف عن : M. Seligsohn, Encyc. of Islam vol. 1, art. ABD ALLAH B. AL-ZUBAIR, p. 33.

عائلة من ارفع عائلات قريش ، وكان ابوه من اثرياء النبي . وامه اسماء ابنة ابي بكر . شهد مع ابيه معركة اليرموك ثم حارب مع ابن العاص في مصر . هذا ولعب دورا كبيرا في فتح افريقيا ثم حارب في خراسان . وفي حادث مقتل عثمان كان من اهم المدافعين عنه . وفي معركة الجمل كان قائد المشاة في جيش خالته عائشة .

وفي حكم معاوية اخفى صاحبنا طمعه بالخلافة ، ولكنه رفض طلب معاوية بالاعتراف بولاية العهد ليزيد . وبعد وفاة معاوية اعلن عداءه ليزيد ورفض ان يقسم له يمين الولاء . ولما علم ان يزيد امر بقتله هرب مع الحسين الى مكة .

وكان عبد الله يخشى منافسة الحسين فنصحه ، وهو ينوي الشر ، بالتوجه الى الكوفة . ولما وصلت اخبار مقتل الحسين الى مكة تمكن من الحصول على بيعة اهل مكة له بالخلافة (٦١ = ٦٨٠ — ٦٨١) . ثم ثار اهل المدينة ضد الامويين وانضموا له ، وهكذا ضمن لنفسه الخلافة في الحجاز .

وبعد وفاة يزيد بن معاوية (٦٤ = ٦٨٣) دانت له بالطاعة واعترفت بخلافته العراق وجنوب بلاد العرب وقسم كبير من سوريا . ثم ارسل دعاته الى مصر وفلسطين واماكن اخرى يدعون الناس لخلافته . غير ان انكسار قواته ومقتل قائده ، الضحاك الفهري ، في معركة مرج راهط (٦٤ — ٦٥ = ٦٨٤) كان ضربة قاضية لخلافته .

اثناء ذلك اشتد ضغطه على الخوارج . وفي السنة التالية سجن محمد بن الحنفية وكل عائلته وسبعة عشر شيخا من اشراف الكوفة قرب بئر زمزم [1] . ثم كان لانهزام ومقتل اخيه مصعب

(١) راجع المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٧٧ .

(٧١ = ٦٩١) ، الحاكم من قبله على العراق ، اثرا قويا في تقلص حركته . اذ سرعان ما الفى نفسه حاكما على مكة فقط حين حاصره الحجاج بن يوسف قائد الخليفة عبد الملك ، الذي قتله وشل حركته .

محمد بن الحنفية :

هو محمد بن علي بن ابي طالب ، وكنيته ابو القاسم . اخذ علي من النبي اذنا بهذه التسمية والتكنية لابنه قبل ان يولد . ولما احتج فيما بعد طلحة على هذه التسمية والتكنية احضر علي له شهودا شهدوا بأن النبي قال له متنبئا : " سيولد لك بعدي غلام فقد نحلته اسمي وكنيتي ولا تحل لاحد من امتي بعده ".(١) استولد علي محمدا هذا من خولة الحنفية ، وهي مِمَّنْ سبي [illegible] اليمامة اعطاها ابو بكر لعلي . وقال انما كانت أَمَةً لبني حنيفة ولم تكن منهم (٢) .

ونحن لا نعرف من ماضيه كثيرا الا انه شهد معركتي صفين والجمل مع ابيه وحمل فيهما رايته (٣) . وبالرغم من امومة محمد الغير مشرفة ، وعدم سريان الدم النبوي في عروقه ، فقد اصبح - بعد ان باع الحسن حقوقه في الامامة واستشهد الحسين في كربلاء - محط آمال قسم لا بأس به من الشيعة كمرشح اهل البيت للامامة . وزعم قوم من الشيعة انهم قالوا بامامته لانه كان صاحب راية ابيه يوم البصرة دون اخويه (٤) . غير ان امامة محمد

---

(١) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٦٦ .

(٢) = = = = = = = ٦٦ . راجع المسعودي مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(٣) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(٤) النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٢٠

لم تنل اجماع الشيعة ، فذهب فريق آخر الى ان الامامة من بعد الحسين لابنه علي الملقب بزين العابدين الذى وصف بكثرة التعبد والتزهد لحد الافراط [١] والذى اصبح فيما بعد احد الأئمة الاثنى عشر . هذا وسخر هؤلاء من امامة ابن الحنفية [٢] . ويذكر الكليني رواية تذهب الى ان ابن الحنفية حاول - عقب مقتل الحسين - اقناع علي هذا بأن يتنازل له عن الامامة لحداثة سنه ، ولما رفض علي ذلك احتكما الى الحجر الاسود . فلما سأل محمد الحجر عمن يكون الامام بعد الحسين لم يجبه ، ولكن لما سأله علي بن الحسين " تحرك الحجر حتى كاد ان يزول عن موضعه ثم انطقه الله عز وجل بلسان عربي مبين فقال اللهم ان الوصية لك والامامة بعد الحسين ابن علي الى علي بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله قال فانصرف محمد بن علي وهو يتولى علي بن الحسين " [٣] . ولكن رغم زعم رواية الكليني هذه فان سلوك ابن الحنفية - مع انه كان شديد الحذر - لا يدل على انه تنازل عن الامامة الا عندما تنازل عنها فيما بعد الى الخليفة الاموي [٤] .

اثار تكتل من تكتل من الشيعة حول ابن الحنفية الشكوك والكراهية في نفس ابن الزبير . غير ان الاخير لم يأخذ المسألة بعين الاعتبار والجد اللهم الا بعد ان قويت حركة المختار

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

(٢) الكليني ، اصول الكافي ، ص ١٤٧ .

(٣) = = = ١٨٣ .

(٤) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٨٢ .

في العراق ، ظنا منه ان المختار يعمل لابن الحنفية . هذا وكان ابن الحنفية يعامل المختار معاملة كلها حذر ، فهو بالنسبة له شر لا بد منه . ولكن عندما اشتدت اذية ابن الزبير له فهو اضطر الى طلبه مساعدة عسكرية من المختار .

ويذكر الطبري انه سبق لابن الزبير - عندما ادعى الخلافة - ان طلب الى ابن الحنفية وابن عباس مبايعته بالخلافة ولكنهما رفضا وايجا ذلك قائلين " حتى تجتمع لك البلاد ويتسق لك الناس " . فتركهما واخذ يساوم عليهما محاولة بين الشدة واللين ، فلما اشتد امر المختار في العراق ضغط عليهما كثيرا وهددهما " وقصد لمحمد بن الحنفية فأظهر شتمه وعيبه وامره وبني هاشم ان يلزموا شعبهم بمكة وجعل عليهم الرقباء وقال لهم فيما قال والله لتبايعن او لاحرقنكم بالنار فخافوا على انفسهم " . ثم سجنهم في سجن قرب بئر زمزم ، وفكر ابن الحنفية في الهرب الى الكوفة فمنعه من ذلك علمه بمؤامرة خبيثة دبرها المختار لقتله هناك . عندئذ طلب من شيعته بالعراق حراسة مسلحة فأرسل له المختار اربعة آلاف جندي (!) ولما دخلت طليعة هذا الجيش مكة خافه ابن الزبير وهرب الى الكعبة وتعلق بأستارها وقال " انا عائذ بالله " وهكذا انقذ هذا الجيش بني هاشم من الحرق . ولما طلب هذا الجيش من ابن الحنفية ان يضع حدا لابن الزبير رفض ذلك قائلا : " هذا بلد حرمه الله ما احله لأحد الا للنبي " واكتفى بأن صحبه الى الحج ، وكانت هذه السنة هي التي اجتمع فيها على عرفة اربعة الوية . وبعد انتهاء موسم الحج رجع هذا الجيش الى الكوفة ليشهد بعد قليل مقتل المختار .

وفي مستهل سنة ٦٩ ، بعد مقتل المختار ، حاول ابن الزبير ارغام ابن الحنفية ، بطريقة عنيفة ، على مبايعته ، ولكنه رفض ذلك كعادته . وفي هذا الاثناء تلقى ابن الحنفية رسالة ودية جدا من عبد الملك بن مروان يقدح فيها على ابن الزبير ومحاولته اكراه ابن الحنفية على البيعة له ، ويدعوه فيها للنزول عنده في الشام . سُرَّ محمد بهذه الرسالة ورحل الى الشام . ولكنه ما كاد يستريح فيها حتى طلب اليه عبد الملك ان يبايع له ! فرفض وقفل راجعا الى الحجاز . ولما هم بدخول مكة منعه ابن الزبير ، فذهب الى المدينة وبقي فيها حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير . ولما بايع الناس لعبد الملك (٧٣ = ٦٩٢) بايع له محمد ابن الحنفية ايضا في رسالة ارسلها مع الحجاج . ثم رجع وسكن المدينة ، وكان بين الحين والآخر يزور عبد الملك بدمشق متعرضا لصلته . ومات سنة ٨١ ودفن في البقيع (١) . ويذكر المسعودي انه " توفي في موضع قبره " (٢) .

والواقع اننا اذا تعمقنا في دراسة شخصية محمد هذا فانا نجد فيها نواح عديدة من التناقض والتردد : فمن ناحية سلوكه الشخصي جمع هذا الرجل في نفسه عقلية الزاهد الانعزالية وعقلية / رجل الدنيا الغير متعالي عن لذاذاتها . جمع محمد هاتين العقليتين في عصر بدأتا فيه تظهران مفترقتين - كما شرحنا

---

(١) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٧٣ - ٨٦ .

(٢) مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٦٨ .

٠٠ /٠

سابقا - ما جعل جولد تسيهر[1] يتخذ من شخصية ابن الحنفية مثلا على اجتماع هاتين العقليتين في شخص واحد . فبينما يصف بعض معاصريه بكثرة العلم والورع[2] ، يصفه البعض الآخر بالتعلق بطيبات هذه الدنيا - كما ذكرنا اعلاه ص ١٤ - ١٥ - التي يعدها Buhl[3] من ميزات اسرته . وان كثرة الديون التي كانت تتراكم عليه ، وكثرة طلباته التي كان يطلبها من عبد الملك ابن مروان - بعد ان اعترف به - لسد ديونه وللانفاق على نفسه واولاده وخاصته ومواليه[4] ، تعطينا صورة صادقة عما نحن بصدده .

وهكذا وانطبعت مواقفه السياسية بطابع هذا التردد ، الذي قد يكون ورثه عن ابيه . نقول هذا رغم ما يذكره لنا ابن سعد من ان محمدا هذا تبرم مرة من تردد ابيه في السير بحطمة وجهتها الشام لمحاربة معاوية[5] . ومن الواضح جدا ان هذا الرجل ، كأبيه ، لم يخلق لقيادة الشعوب . كما انه لم يكن رجل حرب . ففي معركة الجمل اخذ ابوه منه الراية لما رأى منه نكوصا عندما التقى الجيشان[6] . اضف الى ذلك الشعور بالنقص الذي كان ينتابه من جراء امومته الغير مشرفة ، والتي كانت ابدا تستهدفه للاهانات : فمثلا ، عندما مات الحسن بن علي واراد الشيعة دفنه في بيت النبي ورفضت عائشة ، الح عليها العلويون في قبول ذلك ، وما ان تكلم محمد ابن الحنفية في ذلك حتى اجابته " يا ابن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون فما كلامك "[7] . وحدث

---

(١) المتجددة والشيعة في الاسلام ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٦٧ .

(٣) Encyc. of Islam, Vol.III. Art.Muh.B.Al-Hanafia, p. 671.

(٤) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٨٣ .

(٥) ، (٦) = = = = = = ٦٧ .

(٧) الكليني ، اصول الكافي ، ص ١٥٥ .

ان خطب ابن الزبير فنال من علي بن ابي طالب فتصدى له محمد هذا ، فانتهره ابن الزبير قائلا : " هذا عذرة بني الفواطم فما بال ابن امة بني حنيفة . " فلما سمع محمد هذه الكلمات قال متوجعا : " فاني بتلك التي فيها العتاب صبير . " [(١)].

ونحن نستطيع ان نحصي موقف ابن الحنفية السياسي بكلمات قليلة : كان الرجل يطمع بالخلافة والحكم ، ولكنه لم يحرك ساكنا في سبيل ذلك ، بل انه كان ينتظر ان تسقط عليه الدولة التي يريد ان يترأسها من عند الله ! لقد تمثلت العقلية الشيعية السلبية في شخصية محمد هذا خير تمثيل . انه كان يترأس حركة معارضة خرساء . فلو كان محمد عليما لعرف كيف يستغل نقمة انصاره سيما العراقيين منهم ، ولكنه كان عديم الثقة بنفسه وبشيعته . ولو لم يكن يحلم بالحكم لما تزعم هذه الحركة الخرساء ولما كان يتردد على لسانه عبارات ، كقوله : " فان امرنا اذا جاء كان كالشمس الضاحية . " [(٢)]

اما بخصوص موقفه من فكرة انتظار المهدي ، فمن بين الاحاديث التي جمعها لنا ابن خلدون حديثان يدخل محمد هذا في سلسلة رواتها ، احدهما يرويه عن ابيه [(٣)] ، والآخر عن ابيه عن النبي [(٤)] . ومما لا شك فيه ان كلا هذين الحديثين اختراع متأخر . ومن المؤكد ان الخبرين اللذين نقلهما لنا ابن سعد ، حيث يقول ابن الحنفية في اولهما : " النبي منا والمهدي من بني عبد شمس " ، وفي الثاني - وقد سأله سائل " ان الناس يزعمون ان فيكم مهديا " - يقول " ان ذاك كذاك ولكنه

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣١٢ . ايضا ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٨٥ - ١٨٧ .
(٢) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٧٧ .
(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣١٩ .
(٤) = = = ٣١٨ .

من بني عبد شمس . " [1] . نقول من المؤكد ان هذه الخبرين من وضع متأخر ، قصد بها الدعاية لبني امية ، سيما للخليفة عمر بن عبد العزيز . هذا ولا يوجد في ايدينا ما يبرهن ان الرجل كان يعتقد بهذه الفكرة . وقد رفض ابن الحنفية - كما سنبين فيما بعد - لقب المهدى - بمعناه المسيحي - الذى البسه اياه المختار .

المختار بن ابي عبيد الثقفي : [×]

ونحن اذ ندرس شخصية هذا الرجل ، ندرس شخصية من اغرب الشخصيات في التاريخ الاسلامي . وهو من نواح عديدة عظيم الشبه بالحسن بن الصباح ، مؤسس فرقة الحشاشين . ونستطيع ان نلخص تاريخ حياة هذا الرجل - قبل ان نأتي عليها بالتفصيل - بكلمات قليلة : كان المختار رجلا ذا طموح لا حد لحدة ؛ ولما عاش في وقت تخاصم فيه زعماء المسلمين على زعامة الامة ، سرت اليه روح هذا التخاصم . ولم يجد المختار نفسه اقل من اولئك المتخاصمين ، ابدأ بحال . ولقد اوتى صاحبنا عقلية ذات قابلية سياسية من الطراز الاول ، فلم يترك وسيلة توصله الى الحكم الا واتبعها ولكنه لم يخلق للحكم ، لذلك فشل . بيد ان النجاح والخلود كتبا للافكار التي جاء بها .

---

(١) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٢٤٥ .

(×) يكاد يكون الطبرى (الجملة الثانية ، ص ٥٣٠ - ٧٥٢ ، مضافا اليها اشارات اخرى قليلة) المصدر الوحيد لدراسة المختار . لذلك نعتمد عليه كل الاعتماد في سردنا لقصة حياته .

../.

يذكر الطبري [١] والبلاذري [٢] ان المختار ولد في السنة الاولى للهجرة ، ولكن الطبري يعود فيذكر انه في سنة ايحسين كان " غلام شاب " [٣] . وبعد مقتل ابيه احتضنه عمه سعد ابن مسعود ، العلوي الميول والذي اصبح عاملا لعلي على المدائن . ولما خرج الخوارج على علي (٣٧ هـ) خرج عمه في طلبهم واستخلفه مكانه على المدائن [٤] . من ذلك نرى ان المختار نشأ في بيئة علوية . وعندما التحم القتال (٤٠ هـ) بين الحسن بن علي ومعاوية هرب الاول الى المدائن واحتمى بعم المختار . واليك هذا الحديث الذي دار آنذاك بين المختار وعمه ، قال المختار لعمه ، " هل لك في الغنى والشرف قال وما ذاك قال توثق الحسن وتستأمن به الى معاوية فقال له سعد عليك لعنة الله اثب على ابن بنت رسول الله صلعم فأوثقه بئس الرجل انت " [٥] ويذكر البلاذري [٦] ان الشيعة ، على اثر ذلك ، طلبوا لبقتلوه ولكن عمه حال دون ذلك . هذا ودفع المختار بعد خمسة وعشرين سنة ثمن هذا التصرف عندما وبخه الشيعة عليه . ومما لا شك فيه انه كان لذلك الحادث اثرا قويا في رأيهم في هذا الرجل الذي لم يعد ينال ثقتهم . بل انهم عدوه عثمانيا [٧] .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الاولى ، ص ١٢٦٤ .

(٢) انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢١٤ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٢

(٤) = = = = الاولى ص ٣٣٦٦ .

(٥) = = = = الثانية ص ٢

(٦) انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢١٤ .

(٧) = = = = ٢١٤ .

../..

والظاهر ان رفض عمه شعبة من الانضمام الى الحكام الاموين والاستفادة منهم ، ولو انه لم يفعل ذلك لوجد معاوية فيه " عمرو بن العاص " آخر . ومهما يكن من امر فقد اتخذ هذا الرجل مكانه في صفوف المعارضة . ولما ثار حجر بن عدى ضد الامويين (سنة ٥١ هـ) وطلب زياد بن ابيه من المختار ان يشهد عليه " زاغ " من الشهادة[1] . وهكذا اتخذ المختار موقفا معاديا للخلافة الاموية . وفي سنة ٦١هـ اشترك في ثورة مسلم بن عقيل على الامويين ، فسجنه عامل بني امية عبيد الله بن زياد بعد ان ضربه وشتر عينه ، ولم يطلق سراحه اللهم الا بعد ان توسط له زوج اخته عبد الله بن عمر عند الخليفة الاموي يزيد . ومما لا شك فيه ان المعاملة القاسية التي لقيها من العامل الاموي حزّت في نفسه كثيرا .

وعلى هذه الصورة خرج المختار من العراق يريد الحجاز . وطفق اثناء سفره يسأل الناس عن عبد الله بن الزبير فقال له احدهم : " انه يبايع سرا ولا اراه الا لو قد اشتدت شوكته واستكثف من الرجال الا سيظهر الخلاف " فأجابه المختار " اجل لا شك في ذلك اما انه رجل العرب اليوم اما انه إنْ يخطط في اثري ويسمع قولي اكفه امر الناس والا يفعل فوالله ما انا بدون احد من العرب "[2] وتوجه الى مكة يقصد ابن الزبير ، وحاول اقناعه بالوثوب على الحجاز والمبايعة لنفسه علنا ، ولم ينس المختار نفسه - كعادته - في هذه اللحظة ، فمد يده الى ابن الزبير وقال مساوما : " ابسط يدك ابايعك واعطنا ما يرضينا "[3] ، غير ان ابن الزبير لم يحر جوابا ، فخرج من عنده وذهب الى الطائف حيث اخذ " يزعم انه صاحب الغضب ومبير الجبارين "[4]

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ١٣٤ .
(٢) = = = = = = ٥٢٤ .
(٣) ، (٤) = = = = = = ٥٢٦ .

/٠ ..

ولم تكن هذه اول مرة ولا آخر مرة تكمن فيها المختار وتنبأ لنفسه بأعمال جليلة . ومهما يكن من امر فقد اقام في الطائف سنة . ويعتقد Della Vida [1] ان في هذه الفترة تفجرت افكاره التي جعلت منه مؤسس وقائد مرحلة سياسية ودينية من مراحل الحركة الشيعية .

ولما رجع من الطائف ارسل له ابن الزبير - الذى اصبحت دعوته الآن مكشوفة - من يقربه منه ، فبايعه على الخلافة بعد ان رضخ لشروط وضعها (المختار) له ، وهي " على ان لا تقضى الامور دوني وعلى ان اكون في اول من تأذن له واذا ظهرت استعنت بي على افضل عملك . " ، ولما حاصر مكة الجيشُ الاموى (٦٤ هـ) بقيادة الحصين بن نمير السكوني و حارب المختار الى جنب ابن الزبير " فكان من احسن الناس يومئذ بلاء واعظمهم غناء " . [2]

بيد ان تعاون هذين الرجلين لم يطل . فلما رفع الحصار وتوفى يزيد بن معاوية ، وبايع اهل الكوفة لابن الزبير بالخلافة ، ورأى المختار ان ابن الزبير لا يستعمله " جعل لا يقدم عليه احد من الكوفة الا سأله عن حال الناس وهيئتهم " [3] ، ولما تأكد ان فيها مَنْ لم يعترف بخلافة ابن الزبير ، توجه اليها حالا . هذه رواية الطبرى في سبب سفر المختار الى الكوفة . اما ابن سعد [4] والبلاذرى [5] ،

---

(١) Encyc. of Islam, Vol. III, art. Al-Mukhtar, p.7I6

(٢) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٥٢٨ . ايضا المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٥٣١ .

(٤) كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ١٧١ .

(٥) انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢٧٢ .

والمسعودي [1] ، فيذكرون ان المختار ذهب الى الكوفة بأمر ابن الزبير وذلك لانه وعده بأن يكسب لخلافته شيعة بني هاشم ضد الامويين .

ومهما يكن من امر فقد توجه المختار بقصد الكوفة (٦٤ هـ) ، وهو لا ينفك يسأل هذا وذاك عن احوالها ، ويقوم لنفسه بأوسع دعاية بين مَنْ يمر فيهم ، وهو " لا يمر بمجلس الا سلم على اهله وقال ابشروا بالنصر والفلج اتاكم ما تحبون " [2] ، ولكثرة حركة هذا الرجل تمكن اثناء هذه الرحلة من الاحتكاك بأوساط متعددة هيجها للحرب ضد قتلة آل البيت . ولم ينس ان يدعو بعض الشخصيات الكبيرة من ذوي الميول الشيعية للحاق به الى الكوفة ، فلما وصل هؤلاء الى بيته فيها سألهم عن امر الناس عموما والشيعة خصوصا ، فأخبروه ان الشيعة قد اجتمعت حول سليمان بن صرد الذي كان على وشك الخروج ، عندئذ قال المختار " اما بعد فان المهدي بن الوصي محمد بن علي بعثني اليكم امينا ووزيرا ومنتخبا واميرا وامرني بقتال الملحدين والطلب بدماء اهل بيته " هذه رواية البلاذري [3] اما الطبري [4] فيزيد عليها " والدفع عن الضعفاء " . وكانت هذه المرة الاولى التي نسمع فيها بتلقب ابن الحنفية بلقب المهدي .

---

(١) مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٥٣٢ .

(٣) انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٥٣٤ .

../.

هذه رواية الطبري في دعوة المختار باسم ابن الحنفية ، وهي لا تذكر شيئا عن سبب تلك الدعوة . بل انها تحملنا على الظن ان الاثنين كانا متفقين عليها سرا . اما رواية المسعودي فتذهب الى غير ذلك : وصل المختار الى الكوفة واخذ من بيت المال اموالا عظيمة فرق معظمها على الذين التفوا حوله . ولما كتب لابن الزبير " ان يحسب له بما انفقه من بيت المال " ورفض الاخير ذلك خلع المختار طاعته ؛ وكتب الى عليّ بن الحسين يعرض عليه ان يدعو لامامته ، فرفض هذا ، بل انه " سبّه على رؤوس الملأ في مسجد النبي صلعم وذكر كذبه وفجوره ودخوله على الناس باظهار الميل الى آل ابي طالب " . ولما يئس المختار من علي كتب الى عمه محمد يعرض عليه نفس الشيء . وكان هذا يميل الى الرفض لكنه عدل عنه نتيجة لنصيحة ابن عباس الذي قال له " لا تفعل فانك لا تدري ما انت عليه من ابن الزبير "(١) . ونحن نرجح كثيرا رواية المسعودي هذه ، فهي تفسر لنا كثيرا من الغموض في العلاقة بين هذين الشخصين . لم يطلع المختار ابن الحنفية على قصده من السفر الى الكوفة ، او ربما اطلعه ولم يوافق عليه - ولما بدأ عمله الانقلابي فيها شعر بحاجته الى الاستناد الى احد افراد البيت ، الذين كانوا بدورهم في حاجة الى شخص قوي يساعدهم . وهكذا وضع المختار ابن الحنفية امام الامر الواقع . هذا ويذكر البلاذري(٢)) قصة استيلاء المختار على اموال بيت المال وتوزيعها على اتباعه دون ان يعلق عليها .

ومهما يكن من امر فقد اخذ المختار يدعو باسم محمد ابن الحنفية ، المهدي . وقبل ان نسترسل في تتبع هذه الدعوة علينا ان نتوقف قليلا لنتعرف على الحالة في العراق عموما والكوفة خصوصا

---

(١) مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٧١ - ١٧٣

(٢) انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢٢٨ ، ص ٢٧٢ .

في الوقت الذى دخل فيه المختار الكوفة ؛ او لنقل علينا ان نتعرف على رد الفعل الذى تركه مقتل الحسين في كربلاء.

ذكرنا اعلاه ان مقتل الحسين لم يقل في الحجاز بسخط عام اسفر عن ظهور منافسين للخلافة الاموية في شخصيتي ابن الزبير وابن الحنفية . اما في العراق ، الذى كان شيعيا اكثر من غيره ، فكانت النتيجة ظهور حركة التوابين .

والواقع ان المختار دخل العراق وهو يخلي كالمرجل ، وذلك لان حركة التوابين اتخذت بعد وفاة يزيد (٦٤ هـ) شكلا واضحا وجديا . نشأت هذه الحركة عقب مقتل الحسين مباشرة ، وكانت استجابةً لشعور شيعة العراق بخذلانهم ابن بنت النبي . واتخذت جماعة هذه الحركة اسمها وعملها من القرآن " ويعملون بالامر الله بني اسرائيل اذ قال فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم (البقرة ، ٥٤) "(١) . وهكذا كانت هذه الحركة ظاهرة جماعة مستميتة هدفها الاخذ بثأر الحسين . وراست هذه الجماعة عليها سليمان بن صرد الخزاعي الذى اخذت تنضم حوله جموع الشيعة الساخطة ؛ وفي هذا الاثناء دخل المختار الكوفة . ولم ينضم الى هذه الحركة ، بل انه اخذ يثبط جنود التوابين عن قوادهم (٢) سيما ابن صرد الذى اخذ يهاجمه اعنف هجوم (٣) ، وذلك لانه - كما يقول الطبرى - " اثقل خلق الله على المختار " (٤) . وكنتيجة لدعاية المختار انسحب بعض اتباع ابن صرد من جماعة التوابين . ومهما يكن من

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .
(٢) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ٢١٤ .
(٣) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٥٣٤ .
(٤) = ، = = = ، ص ٥٣٥ .

امره . فقد التقى جيش التوابين هذا بجيش الخلافة الاموية (٦٥ هـ) بمعركة " عين الوردة " التي انتهت بانهزام جيش التوابين وقتل قواده (١) .

ولما نشبت معركة عين الوردة هذه كان المختار مسجونا في سجن عبدالله بن يزيد الانصاري عامل ابن الزبير على الكوفة . وكان انكسار جيش التوابين الساحق وقتل سليمان ابن صرد اعظم انتصار للمختار الذي كان قد تنبأ - اوبالاحرى تكهن - بذلك ، كما تنبأ بأن قوى الشيعة - تحت امرته - سوف تنتقم شر انتقام من قتلة شهيد كربلاء . وكانت هذه النبوءات تنساب منه على شكل جمل مسجوعة كسجع الكهان ، كقوله وقد مضى على سجنه نحوا من خمس عشرة ليلة : " عدوا لغازيكم هذا اكثر من عشر ودون الشهر ثم يجيئكم نبأ هتر من طعن نتر وضرب هبر وقتل جم وامر رجم فمن لها انا لها لا تكذبن انا لها . " (٢)

وبعد مقتل ابن صرد شفع بعض وجهاء الكوفة لخروجه من السجن ، فاخرجه عامل بن الزبير مشترطا عليه ان لا يقاتل ابن الزبير . وعقب خروجه اخذ يتزعم حركة انتقام لمقتل الحسين ، وكما ذكرنا اعلاه ، قام بذلك باسم محمد ابن الحنفية : المهدى . غير ان الناس شكوا في صحة ما يدعيه من علاقة مع ابن الحنفية ، فشكلوا وفدا قدم على الاخير وسأله عن المختار ودعواه ، فاجابهم اجابة دبلوماسية " واما ما ذكرتم من دعاه من دعاكم الى الطلب بدمائنا فوالله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه القول هذا واستغفر

---

(١) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣١١ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٥٦٩ .

الله لي ولكم . " (١) . بهذا الجواب الطيّ بالتحفظ اجاب ابن الحنفية . فلما رجع الوفد الى العراق وقد فهم ضمنا ان ابن الحنفية يؤازر حركة الثأر لال البيت ، نقل المختار عبارات ابن الحنفية الى الناس بقوله : " يا معشر الشيعة ان نفرا منكم احبوا ان يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا الى امام الهدى والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى حاشى النبي المجتبى فسألوه عما قدمت به عليكم فنبأهم اني وزيره وظهيره ورسوله وخليله وامركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم اليه من قتال المحلين والطلب بدماء اهل بيتكم المصطفين . "(٢) . وهذه الحادثة تعطينا صورة صادقة عن العلاقة بين الرجلين : ابن الحنفية رجل متحفظ يريد ان يستفيد من هذا الداهية ، والمختار غير متحفظ ، وهو بدوره يحاول قصارى جهده استغلال اسم محمد لتأييد الشخصية !

وسارت هذه الدعوة الجديدة للاخذ بثأر الحسين ، ومعها سارت الدعاية لابن الحنفية ومهديته . ولسنا نعلم بالضبط الى اى حد فهم المجتمع الكوفي مهدية ابن الحنفية على انها مهدية بالمعنى " المسيحي " ، ولكنا نستطيع ان نؤكد ان البعض - سيما من بين الموالي - قد فهمها كذلك .

اخذ المختار يجند قوى الشيعة للقتال ضد الغاصبين الامويين ، بعد ان قطع لا بأس به منهم لم يشترك معه بل التفحول القائد ابراهيم بن الاشتر ، ذى الشخصية المحترمة . ولكي يقنع المختار ابراهيم هذا - الذى كان بالنسبة له صفقة رابحة جدا - بالانضمام مع اتباعه الى الحركة // زَوّر كتابا على لسان ابن الحنفية يطلب فيه من ابراهيم مناصرة المختار والانقياد

---

(١) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٦٠٧ .
(٢) = ، = = = ، ص ٦٠٨ .

له . وعندما سلّم المختار الكتاب الى ابراهيم ابدى الاخير شكه في صحته ، اذ انه يبدأ بعد البسملة بهذه الكلمات :
" من محمد المهدى الى ابراهيم بن مالك الاشتر " فلما قرأ ابراهيم هذه الكلمات ابدى شكوكه في كونه من ابن الحنفية بقوله : " قد كتب اليّ ابن الحنفية وقد كتبت اليه قبل اليوم فما كان يكتب اليّ الا باسمه واسم ابيه قال له المختار ان ذلك زمان وهذا زمان " (١).
ولم يسر ابن الاشتر معه ويحارب تحت لوائه الشهم الا بعد ان شهد له شهود (شهدوا كذبا حُبًّا في الخروج) بانه لا غبار على صحة الكتاب .

ورغم الشك الذي أبداه البعض في المختار ونواياه فقد آمن به اناس ايمانا كبيرا الى درجة ان وصفه احدهم بانه معصوم (٢) . ولكي يكسب المختار شعبية حسّن معاملته مع الناس كثيرا واخذ " يُمنّي الناس ويستجر مودتهم ومودة الاشراف ويحسن السيرة جهده ". (٣) . وتهافتت عليه الشعراء يمدحونه فمدحه احدهم (عبدالله بن همام) بقوله :

فمنّ وزير ابن الوصي عليهم	وكان لهم في الناس خير شفيع
وآب الهدى حقا الى مستقره	بخير اياب آبه ورجوع
الى الهاشمي المهتدى المهتدى به	فنحن له من سامع ومطيع (٤)

كل هذا وهو منهمك في الاستعداد للحرب التي اخذ يعد لها عدتها .

وفي ١٤ ربيع الاول (٦٦ هـ) بدأت الثورة ، ودارت بعض المعارك الثانوية بين قوى المختار - التي كان يقودها ابن الاشتر -

---

(١) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٦١١ - ٦١٢ .
راجع البلاذرى ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
(٢) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٦٢٧ .
(٣) = = = = ، = ، ص ٦٣٣ .
(٤) = = = = ، = ، ص ٦٣٨ .

وبين جنود الدولة . ولقد كون الموالي قسما كبيرا من جيش المختار ، مما اثار سخط اسيادهم ، الاشراف ، الذين اخذ تذمرهم من المختار يظهر شيئا فشيئا .

وهكذا نشأت بين اشراف الكوفة حركة ثورة ضد المختار وصله ، وعبّر احد الاشراف عن سبب هذه الثورة بقوله "انه تأمر علينا بغير رضى منا وزعم ان ابن الحنفية بعثه الينا وقد علمنا ان ابن الحنفية لم يفعل . واطعم موالينا فيئنا واخذ عبيدنا فحرب بهم يتامينا وارامِلنا " [١]. هذا وكان لتفاهم المختار مع الموالي ضد اسيادهم اثرا كبيرا جدا ظهرت نتائجه في المستقبل . اما الاسباب التي حبذت بالمختار لأن يتفاهم مع الموالي فلأنهم كانوا اسهل انقيادا من غيرهم . ونحن لا نميل الى الأخذ برأى Della Vida ان المختار " فضل حزب الموالي ، وبما بدافع الاقتناع لا لاسباب سياسية ؛ انه كان يعتقد ان نصر المهدى الذى تنبأ به سيجعل المؤمنين متساوين دون اى تمييز عنصرى . " [٢] فهذه الاسباب ربما دفعت الموالي للتعلق بالمختار ، لا العكس . نقول ذلك لاننا نعتقد ان المختار لم يكن يؤمن بمهدية ابن الحنفية التي استغلها للوصول الى اهدافه الشخصية . والى القارئ هذين الخبرين اللذين يؤكدان ما نحن بصدده :" قال المختار مَنْ جاءنا مِنْ عبد فهو حر فبلغ ذلك ابن الزبير فقال كان يقول انى لاعرف كلمة لو قلتها كثر تبعى وهي هذه ليكثرن تبعة . " [٣]. ركب المختار يوما مع المغيرة بن شعبة فمر بالسوق فقال المغيرة اما والله

---

(١) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٦٥٠ - ٦٥١ .

(٢) Encyc. of Islam, Vol.III, art. Al-Mukhtar, p.716

(٣) البلاذرى ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ٢٦٧ .

انى لاعرف كلمة لو دعا بها اريب لاستمال بها اقواما فصاروا له أنصاراً ثم لا سيما العجم الذين يقبلون ما يلقى اليهم قال المختار وما هي يا عم قال يدعوهم الى نصرة آل محمد والطلب بدمائهم فكانت في نفس المختار حتى دعا . " [1] هذا والخبر الذى يذكره المسعودى يعطينا اقوى برهان على ما نحن بصدده : " واقبل يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديرهم في انفسهم وعقولهم فمنهم من يخاطبه بامامة محمد بن الحنفية ومنهم من يدفعه عن هذا فيخاطبه بأن الملك يأتيه بالوحي ويخبره بالغيب " [2]. ونحن لا نشك ابدا في ان هذه السُنّة الذرائعية التي سنها المختار كانت ذات اثر قوى في عقلية الشيعة . فهذه الناحية في تعاليم اخوان الصفا ، مثلا ، معروفة عند الجميع . وتذهب احد الاحاديث التي يرويها الكليني عن النبي الى انه قال : " انا معاشر الانبياء أُمرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم . " [3]

استعد الاشراف للثورة على المختار والقضاء عليه ، واغتنموا فرصة بعد ابن الاشتر الذى كان مشغولا بقتال الامويين ، في الشمال . غير ان المختار استرجعه بسرعة الى الكوفة حيث وضع حدا لتلك الثورة . وفي اثناء احدى معارك المختار مع هؤلاء الثوار طلب احدهم (سراقة بن مرداس) الامان فأُعطى له ثم انه تقدم من المختار وقال له " سراقة بن مرداس يحلف بالله الذى لا اله الا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البُلق بين السماء

---

(١) البلاذرى ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢٢٣ .

(٢) مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٧٣ .

(٣) اصول الكافي ، ص ١٢ .

/..

والأرض فقال له المختار فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به المختار فقال اني قد علمت انك لم تر الملائكة وانما اردت ما قد عرفت ان لا اقتلك فاذهب عني حيث احببت لا تفسد عليّ اصحابي ." (١) فهذه صورة واضحة لخداع هذا الداهية لاتباعه البسطاء .

وبعد ان اخمد هذه الثورة بدأ المختار ينفذ ما سبق ووعد الناس به كثيرا : الفتك بقتلة الحسين واتباعه . ولم يكتف بقتلهم جميعا بل قتل معهم حتى الذين لم يناصروا الحسين في محنته . وبعد ذلك بوقت قصير احرز قائده ابن الأشتر انتصارا باهرا على جيوش الامويين القادمة لقتال المختار . وفي هذه المعركة قُتِلَ قائد الجيش الاموى ، عبيد بن زياد ، قاتل الحسين في كربلاء .

وهكذا اصبح المختار الحاكم المطلق على رقعة من الدولة الاسلامية تضم العراق - ما عدا البصرة - والموصل وارمينيا واذربيجان (٢) . عندها حاول احتلال الحجاز - الذى كان يحكمه ابن الزبير - واتبع لذلك خطة دنيئة (٣) زادت في كراهية ابن الحنفية له ، وحقد ابن الزبير عليه ، مما جعل الاخير يفكر عمليا في القضاء عليه ، وما ان واتت الفرصة حتى امر ابن الزبير اخاه مصعبا ، واليه على البصرة ، ان يهاجم المختار . وانضم الى مصعب الكثيرون من اشراف الكوفة ، وفي نفس الوقت اخذت قوى الشهرة التي التفت حول المختار تتقهقر شيئا فشيئا امام جيش ابن الزبير وحلفائه . اضف الى ذلك ان انصار المختار اخذوا يهجرونه شيئا

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٦٦٤ - ٦٦٥ .
(٢) البدنوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .
(٣) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٦٨٦ - ٦٩٢ .
البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

نفسها ، كل هذا وهو يحارب ببطولة نادرة ، واخيرا تغلب عليه العدو نهائيا وحصره مع بعض اتباعه في قلعة في الكوفة .
وبعد مقاومة باسلة صمد فيها لمحاصريه ، فكر المختار في الخروج . وعندما خرج من القلعة ، وقبل ان يلتقي بالاعداء الذين كانوا يتربصون به ، وفي ذلك الوقت الذي كان فيه في حالة نفسية متحطمة ، انفلتت على لسانه عبارة هي خير ترجمة لحركته ونواياه ، يلتفت المختار الى احد اتباعه وهما خارجان من القلعة فيقول له " انما انا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز ورأيت نجدة انتزى على اليمامة ومروان على الشام فلم اكن دون احد من رجال العرب فأخذت هذه البلاد فكنت كأحدهم الا انني قد طلبت بثأر اهل بيت النبي صلعم اذ نامت عنه العرب فقتلت من شرك في دمائهم وبالغت في ذلك الى يومي هذا ." (1)

---

(1) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٧٣٢ ، راجع ايضا البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢٦١ .

((الفصل الثالث))

تطور مهدية ابن الحنفية بعد وفاته

وهكذا قضى المختار بعد ان ترك اسوأ الذكريات تحوم حول شخصه [1] ، حتى ان الكوفة اصبحت تُعَيَّر به [2] ، وتذهب المصادر التي رجعنا اليها ان ابن الحنفية - الذي كان يدعو باسمه - لم يكن حسن الرأي فيه [3] ، بل انه كان يكره امره [4] ونحن لا نستغرب ذلك علما بما بينهما من اختلافات خلقية جوهرية بغض النظر عن اختلافهما من حيث الغايات .

ومما لا شك فيه ان ابن الحنفية قد حافظ على الروح الشيعية السلبية الاصيلة خير محافظة ، فكان يعتقد انه من اسرة لها فضل على الناس [5] ، وان من احبها نفعه الله وان كان في الديلم [6] ، وكان عظيم الثقة بحق هذه الاسرة في حكم المسلمين . ولما اغتصب الحاكم الاموي هذا الحق ،

---

(١) راجع : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢٢٦ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٢٦ ، ص ٦٨٦ .

(٢) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ١٦٩ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٣) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٧١ .

(٤) = = = = = = = ٧٣ .

(٥) = = = = = = = ٦٩ .

(٦) = = = = = = = ٧٠ .

فان الله قادر ان يرده اليهم . وكثيرا ما انطلقت على لسانه عبارات التمني بوجهة صريحة لامّنا[1] او لدولة الحق[2] . ولكن عندما تقدمت به الحياة وبلا من قوة بني امية ما بلا ، فتر اعتقاده بوجهة صريحة ، فعندما طلب اليه عبد الملك بن مروان ان يغادر سوريا خطب في اصحابه خطبة جاء فيها : " وامر آل محمد مستأخر والذى نفس محمد بيده ليعودن فيكم كما بدا ."[3]

بيد ان محمد هذا كان معتدلا في تشيعه بعيدا كل البعد عن الغلو ، يبلغ مسامعه ان في الكوفة سيدتان غاليتان في تشيعهما ، وان بعض الشيعة يجتمعون في بيتهما ، فيرسل الى الشيعة في الكوفة كتابا يحذرهم فيه من الاجتماع بهما[4] . ويرى بأم عينه هذا الانقسام الذي اعترى الاسلام فيحز الألم في نفسه فيقول " اهل بيتين من العرب يتخذهما الناس اندادا من دون الله نحن وبنو عمنا هؤلاء يعني بني امية ."[5] . وربما ان اعتدال محمد كان من الاسباب الرئيسية في عدم تفاهمه مع المختار .

---

(١) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٧٠

(٢) = = = = = = ٧١

(٣) = = = = = = ٨٠

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الحلقة الثانية ، ص ٧٣١ - ٧٣٢ .

(٥) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٦٨ ، الغزالي ، فضائح الباطنية ، ص ٨١ .

../.

ومهما يكن من امر فقد رفض ابن الحنفية لقب "المهدى" الذى البسه اياه المختار : " عن ابى حمزة قال كانوا يسلمون على محمد بن علي سلام عليك يا مهدى فقال اجل انا مهدى اهدى الى الرشد والخير اسمي اسم نبي الله وكنيتي كنية نبي الله فاذا سلم احدكم فليقل سلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابى القاسم ." (١) ويحدث رجل من عزة آخر بخراسان انه قدم الى ابن الحنفية وسأله بعض الاسئلة فأجابه عليها . وهناك احد هذه الاسئلة - الذى نرجح انه كان حول مهديته - يسأله الرجل : " وقد كانت تبلغنا عنك احاديث من وراء وراء فأحببت ان اشافهك للكلام فلا اسأل عنك احدا ... فحمد الله محمد بن علي ... ثم قال اما بعد فاياكم وهذه الأحاديث فانها عيب عليكم ، وعليكم بكتاب الله تبارك وتعالى فانه به هدى اولكم وبه يهدي آخركم ." (٢) والظاهر ان المختار ضرب برفض ابن الحنفية لهذا اللقب عرض الحائط ، بل اصر عليه ، على شرط ان لا يتعدى كونه وسيلة يستفيد منها . وهو لا يتورع عن الفتك بابن الحنفية بنفس هذا السلاح - سلاح المهدية - اذا ما آنس منه خطرا على اطماعه ، فعندما ضايق ابن الزبير ابن الحنفية فكر الثاني بالهروب من وجهه الى الكوفة ، حيث كان المختار يمهد له السبيل (!) فاعد له المختار استقبالا رائعا ، قال لأهل الكوفة " ان في المهدى علامة يقدم بلدكم هذا فيضربه رجل في السوق بالسيف لا تضره ولا تحيك فيه " وطبعا آثر ابن الحنفية البقاء تحت ضغط ابن الزبير على ضربة السيف (٣) .

---

(١) ، ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٦٨ .

(٢) = = = = = = = ٦٩ - ٧٠ .

(٣) = = = = = = = ٧٤ ، راجع ايضا البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

وبالرغم عن التشيع المعتدل الذى تشيعه ابن الحنفية
فقد التف حول شخصه - سيما بعد وفاته - اكثر الشيعة غلوا
وتطرفا . ونحن لا نشك ان ذلك كان من جراء دعايات المختار
وانكاره . وبغضا عن انه يقرلقب المهدى فان هذا الاسم ، بمفهوم
" المسيحي " بقي عالقا بشخصه اثناء حياته ، وبعد موته . واذا
كان من الصعب عليه ان يلعب دور المهدى اثناء حياته ، فلقد
اصبح من السهل ان يلعب هذا الدور بعد وفاته : لقد
علق اتباعه عليه الكثير من الآمال ، فلما مات لم يشاءوا ان يعترفوا
بالمهدية ، بل اصروا على انتظار دولة الله التي سيرأسها هذا
المهدى .

هذه هي قصة الكيسانية (1) ، اتباع محمد بن علي .
تلك القصة التي لا تختلف في تكوينها عن تكوين مشكلة الخلافة ،
انما فرع تفرع عنها . اخذت كلمة المهدى تحل شيئا فشيئا محل
كلمة الخليفة ، وكما كان الناس يختلفون في احقية هذا المرشح
او ذاك في منصب الخلافة ، اخذوا يختلفون في احقية هذا او ذاك في
منصب المهدية ، الذى سيفضي بدوره الى منصب الخلافة .
وهكذا اصبحت المهدية علم الثورة يحمله زعماء المعارضة الذين كانوا
يهدفون الى تولي منصب الخلافة .

وبعد وفاة محمد بن الحنفية انقسمت فرقة الكيسانية
هذه - التي كانت تعتقد بامامته ومهديته - الى فرق كثيرة
يمكن حصرها في قسمين رئيسيين : قسم يزعم ان ابن الحنفية حيّ

---

(1) لمعرفة اصل هذه التسمية راجع : المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٨٠ ،
النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٢٠ - ٢١ ، ص ٢٤ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٨ .

لم يمت ، وسيعود ، وهو المهدي المنتظر . وقسم آخر اعتقد بوفاته وبانتقال الامامة بعده الى غيره . واختلف هذا القسم فيما بينه في مَنْ يخلفه على هذه الامامة[1]. والآن لنترك جانبا القسم الثاني ، فمشكلته لا تختلف بقليل ولا كثير عن مشكلة الخلافة او الامامة . الرئيسية . ولنهتم بالقسم الاول .

اعتقد جماعة هذا القسم ان ابن الحنفية لم يمت بل انه لا يزال حيا في ، أو في ، جبل رضوى الذي كان ابن الزبير نفاه الى ناحيته[2] . وسبق للنبي ان بارك هذا الجبل بقوله " رضوى رضي الله عنه وقدس قدسه الله "[3]. ومما هو جدير بالذكر ان جميع المتمهدين الذين ظهروا فيما بعد ، قرنوا اسماءهم باسماء جبال .

والآن لندرس معتقدات الذين آمنوا بمهدية ابن الحنفية وانتظروا رجعته عن طريق دراستنا لشاعرين من الكيسانية ، وهما كثير عزّه ، والسيد الحميري .

كثير عزّه (المتوفى سنة ١٠٥ = ٧٢٣) —

عاصر هذا الشاعر ابن الحنفية وكان من اتباعه ومادحيه . والظاهر انه كان اثناء حياة محمد يتشيع تشيعا معتدلا . حتى انه لم يكن منقطعا كل الانقطاع الى الشيعة وابن الحنفية ، بل انه كان كثيرا ما يتردد على خلفاء بني امية ويمدحهم ، ولما عاتبه ابن الحنفية يوما على ذلك اجابه

---

(١) النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٢٤ — ٣٠ . البغدادي ، كتاب الفرق بين الفرق ، ص ١٦ — ١٧ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٨٠ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣١٣ .

(٣) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٢٥ .

قائلا " انما اسخر منهم واجعلهم حيات وعقارب وآخذ اموالهم[1]
وبعد وفاة محمد التي لم يعتقد بها غالى في تشيعه حتى
وصفه الاصبهاني [2] والبغدادي [3] بأنه " كان يتشيع تشيعا
قبيحا " . وروى انه قال[4] :

برئت الى الاله من ابن اروى ومن قول الخوارج اجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق غداة دعى امير المؤمنينا

هذا واعتقد كثير بالرجعة والتناسخ . والى القارئ هذه القصة
التي يرويها لنا الاصبهاني : " كان كثير يدخل على عمة لـه
برزة فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها فقال لها يوما
لا والله ما تعرفيني ولا تكرميني حق كرامتي قالت بلى والله
اني لاعرفك قال فمن انا قالت ابن فلان وابن فلانة وجعلت تعدح
اباه وامه فقال قد عرفت انك لا تعرفيني قالت فمن انت
قال انا يونس بن متى ." [5]

كان كثير يسير في ركاب محمد يدافع عنه
بشعره ويتعصب له اشد تعصب . وعندما سجنه ابن الزبير
في سجن عارم (قرب بئر زمزم) غضب لذلك كثير وقال[6] :

من ير هذا الشيخ بالخيف من منى
من الناس يعلم انه غير ظالم

(١) البغدادي ،خزانة الادب ،ج ٢ ،ص ٣٨٣ .
(٢) كتاب الاغاني ،ج ٨ ،ص ٣٠ .
(٣) خزانة الادب ،ج ٢ ،ص ٣٨٢ .
(٤) ابن عبد ربه ،العقد الفريد ،ج ١ ،ص ٢٦٧ .
(٥) كتاب الاغاني ، ج ٨ ،ص ٣٣ .
(٦) كتاب الاغاني ،ج ٨ ،ص ٣١ .

سمّ النبي المصطفى وابن عمه ... وفكاك اغلال ونفاع غارم

ابى فهو لا يشرى هدى بضلالة ... ولا يتقي في الله لومة لائم

ونحن بحمد الله نتلو كتابه ... حلولا بهذا الخيف خيف المحارم

بحيث الحمام آمن الروع ساكن ... وحيث العدو كالصديق المسالم

فما فرح الدنيا بباق لاهله ... ولا شدة البلوى بضربة لازم

تُخَبَّر من لاقيت انك عائذ ... بل العائذ المظلوم في سجن عارم

اما اعتقاد كثير في مهدية ابن الحنفية فأمر لا شك فيه ، وهو القائل (١) :

هو المهدي خبّرناه كعب ... اخو الاخبار في الحقب الخوالي

ولما سأله احدهم : " القيت كعبا قال لا قيل فلم قلت خبّرناه كعب قال بالتوهم ". (٢) والذي نميل الى الأخذ به ان ايمانه بمهدية ابن الحنفية انما كان بعد وفاة الاخير . نقول ذلك لخلو شعره الذي قاله اثناء حياة ابن الحنفية من الاعتقاد بمهديته . بينما يظهر هذا الاعتقاد بالشعر الذي قاله بعد وفاته ، قال كثير في معرض كلامه عن الائمة الذين يعتقد بامامتهم (٣) :

الا ان الائمة من قريش ... ولاة الحق اربعة سواء

عليّ والثلاثة من بنيه ... هم الاسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط ايمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء

---

(١) الاصبهاني ، كتاب الاغاني ، ج ٨ ، ص ٣٢ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٨١ .

(٢) الاصبهاني ، كتاب الاغاني ، ج ٨ ، ص ٣٢

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٨١ . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

وسبط لا تراه العين حتى	يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يُرى فيهـا زمـانا	برضـوى عنده عسل ومـاء

ولسنا ندري كيف استطاع كثير ان يوحد بين الاعتقاد بمهدية ابن الحنفية وانتظاره ، وبين الاعتراف بخلافة ابنه من بعده ، ومن بعده بخلافة مروان ابن الحكم وابنه ، قال كثير[١]

وكان الخلائق بعد الرسول	لـه كلهـم تابعـا
شهيدان من بعد صديقهم	وكان ابن خولى لهم رابعا
وكان ابنه بعده خامسـا	مطيعا لمن قبله سامعا
ومروان سادس مَنْ قد مضى	وكان ابنه بعده سابعـا

السيد الحميري (سنة ١٠٥ - ١٧٣) -

يقول الاصبهاني عن السيد انه " كان شاعرا متقدما مطبوعا ... وانما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب اصحاب رسول الله صلعم وازواجه في شعره ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم فتحومي شعره من هذا الجنس وغيره وهجره الناس تخوفا وتراقبا " ويقول ايضا ان ابواه كانا اباضيين يسكنان البصرة كما سكنوا من بعدهما[٢] . بيد ان السيد لم ينشأ على ما كان عليه والداه ، بل انه اصبح شيعيا مغاليا في تشيعه على مذهب الكيسانية ، وكان يعتقد بالرجعة[٣] ، وتُكَذِّب روايات كثيرة[٤] الاخبارَ التي تذهب

(١) الشيخ بيرس ، شرح ديوان كثير ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .
(٢) كتاب الاغاني ، ج ٧ ، ص ٣ . (٣) الاصبهاني ، كتاب الاغاني ، ج ٧ ، ص ٨ .
ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .
(٤) الاصبهاني ، كتاب الاغاني ، ج ٧ ، ص ٣ ، ٤ ، ٥ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

الى انه شرك في آخر عمره الكيسانية واصبح يؤمن بامامة جعفر بن محمد : " فقال ابن الساحر راويته والله ما رجع عن ذلك ولا القصائد الجعفريات الا منحولة له قيلت بعده وآخر عهدى به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلا يروى عن النبي صلعم انه قال لعلي ع انه سيولد لك بعدى ولد وقد نحلته اسمي وكنيتي فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها

الم يبلغك والانباء تنمى	مقال محمد فيما يؤدى
الى ذى علمه الهادى عليّ	وخولة خادم في البيت تردى
الم تر ان خولة سوف تأتي	بوارى الزند صافي الخيم نجد
يفوز بكنيتي واسمي لاني	نحلتهما هو المهدي بعدى
يغيب عنهم حتى يقولوا	تضمنه بطيبة بطن لحد
سنين واشهرا ويرى برضوى	بشعب بين انمار واسد
مقيم بين آرام وعين	وحفان تروح خلال ربد
تراعيها السباع وليس منها	ملاقيهن مفترسا بحد
امنّ به الردى فيرتعن طورا	بلا خوف لدى مرعى وورد
حلفت برب مكة والمصلى	وبيت طاهر الاركان فرد
يطوف به الحجيج وكل عامٍ	يحل لديه وفد بعد وفد
لقد كان ابن خولة غير شك	صفاء ولايتي وخلوص ودى
فما احد احب اليّ فيما	اسرّ وما ابوح به وابدى
سوى ذى الوحي احمد أوعلي	ولا ازكى واطيب منه عندى
ومن ذا يا ابن خولة ان رمتني	بأسهمها المنية حين وعدى
يذب عنكم ويسد مما	تثلم من حصونكم كسدى
ومالى ان امر به ولكن	أؤمل ان يؤخر يوم فقدى
فادرك دولة لك لست فيها	بجبار فتوصف بالتعدى

/٠٠

على قوم بغوا فيكم علينا لتعدى منكم يا خير معد
لتحمل بنا عليهم حيث كانوا بغور من تهامة او بنجد
اذا ما سرت من بلد حرام الى من بالمدينة من معد (١)

عن ابي داود المسترق راوية السيد " انه حضر يوما وقد ناظره محمد بن علي بن النعمان المعروف بشيطان الطاق في الامامة فغلبه محمد في دفع ابن الحنفية عن الامامة فقال السيد

الا ايها الجدل المعنى لنا ما نحن ويحك والعناء
اتبصر ما تقول وانت كهل تراك عليك من ورع رداء
الا ان الأئمة من قريش ولاة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم اسباطه والاوصياء
فاني في وصيته اليهم يكون الشك منا والمراء
بهم اوصاهم ودعا اليهم جميع الخلق لو سمع الدعاء
فسبط سبط ايمان وحلم وسبط غيبته كربلاء
سقا جدثا تضمنه ملث هتوف الرعد مرتجز رواء
تظل مظلة منها عزال عليه وتغتدي اخرى ملاه
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
من البيت المحجب في سراة شراة لف بينهم الاخاء
عصائب ليس دون اغر ابلج بمكة قائم لهم انتهاء

وهذه الابيات بعينها تروى لكثير ذكر ذلك بن ابي سعد ". (٢)

---

(١) الاصفهاني ، كتاب الاغاني ، ج ٧ ، ص ٤ — ٧ .

(٢) = = = = == = ٩ — ١٠ .

وقال في ابن الحنفية ايضا [(١)] :-

الا قل للوصي فدتك نفسي	اطلت بذلك الجبل المقاما
اضر بمعشر والوك منا	وسموك الخليفة والاماما
وعادوا فيك اهل الارض طرا	مقامك عنهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت	ولا وارت له ارض عظاما
لقد اوفى بمورق شعب رضوى	تراجعه الملائكة الكلاما
وان له به لمقيل صدق	وانديه تحدثه كراما
هدانا الله اذ جرتم لامر	به ولديه نلتمس التماما
تمام مودة المهدي حتى	تروا راياتنا تترى نظاما

ويقول في رضوى [(٢)] :-

ياشعب رضوى ما لمن بك لا يرى	وبنا اليه من الصبابة اولق
حتى متى والى متى وكم المدى	يا ابن الرسول وانت حي ترزق

ويقول فيه ايضا [(٣)] :-

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى	حتى متى تخفى وانت قريب
يا ابن الوصي ويا سمي محمد	وكنيه نفسي عليك تذوب
لو غاب عنا عمر نوح ايقنت	منا النفوس بأنه سيؤوب

* * * *

وبقيت الكيسانية ، بمختلف فرقها ، تعمل على هدم الحكم الاموي . وبعد استيلاء العباسيين على الحكم - وكانت حركتهم فرعا من التشيع الحنفي - اخذت

---

(١) الاصبهاني ، كتاب الاغاني ، ج ٧ ، ص ٣٠ - ٣١ . راجع ايضا بالنوبختي فرق الشيعة ، ص ٢٧ . المسعودي مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .
(٢) المسعودي مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٨٣ . (٣) النوبختي ، فرق الشيعة ص ٢٦ .

الحنفية ، او الكيسانية ، تتلاشى شيئا فشيئاً . وابتلعت الدعوة الفاطمية الكثيرين من اتباعها .[1] وهذا لا يعني ان الايمان برجعة ابن الحنفية ، المهدى المنتظر ، قد اختفى من الوجود . فالبيروني ينقل لنا ذلك بقوله :"والى زماننا هذا ينتظره بعض الناس ويقولون بحياته وكونه في جبل رضوى ."[2]

---

(1) برنارد لويس ، اصول الاسماعيلية ، ص ٨٨ - ٩٣ ، ١٧٢ - ١٧٣ .

(2) الآثار الباقية ، ص ٢١٢ .

((القســــــم الثـــــــاني))

----

*

((الفصل الاول))

من اين جاء المختار بفكرة المهدية

مما لا شك فيه ان المختار عندما استعمل هذه الفكرة لم يكن يدري ما يفعل . لقد استعملها كوسيلة للوصول الى ما كان يهدف اليه : الوصول الى الحكم . استعملها كما استعمل سلاح الدعاية لامامة ابن الحنفية ، او كما استعمل ابن الحنفية نفسه ، او كما استعمل سلاح محاربة قتلة الحسين ، او التفريق بين الموالي واسيادهم .

ومهما يكن من امر فقد كان استعماله لهذه الفكرة بدء تطور خطير جدا في التاريخ الاسلامي : ففي الحماس الشعبي الذى صحب بدعايته – كما يقول Della Vida (1) – نجد جراثيم الافكار التي نقلت التشيع من حركة سياسية الى عقيدة دينية . ففاقت حركته – من هذه الناحية – كل حركة شيعية سبقتها . ورغم ان هذه الحركة فشلت من الناحية السياسية فشلا ذريعا ، غير ان النجاح والخلود كتبا للافكار التي جاء بها المختار ، سيما فكرة المهدى .

والان ، وجب علينا ان نجابه سؤالا هاما جدا ، وهو : من اين جاء المختار بفكرة المهدى هذه ؟ ان الاجابة على هذا السؤال بصورة قطعية امر مستحيل ، لكثرة المشاكل التي تعترض طريقنا . لذلك سنحاول الاجابة عليه بقدر الامكان ، عن طريق اثارة مسائل هامة حول منشأ هذه الفكرة .

<u>كلمة "مهدى" :</u>– بشر المختار بمهدية ابن الحنفية ، وصارت هذه الفكرة سير النار في الهشيم . فآمن بمهدية ابن الحنفية من آمن وكفر من كفر ، فقط

---

(1) Encyc. of Islam, Vol.III, art. Al-Mukhtar, p. 717.

ليؤمن بمهدية غيره ... والواقع ان فكرة المهدى هذه لعبت دوراً هاماً جداً في التاريخ الاسلامي ، دينيا وسياسيا . فما هي العلاقة بينها وبين الاسلام ؟ هل نزل بها قرآن ، ام هل بشر بها نبي الاسلام ؟

بالرغم من ان القرآن يعج بمشتقات فعل "هَدَى" - وهو امر لا محيص منه لكتاب ينشر بين الناس دعوة ضد الضلال - فانه لم ترد فيه ولا مرة واحدة صيغة "مهدى" هذه . ونحن اذا اعترانا الاستغراب لعدم ايجاد ما يشير بظهور المهدى في القرآن ، ثم لكثرة ما نجده منه في كتب الاحاديث والتواريخ ، فان جولد تسيهر يطمئنا بقوله " ومن الخطأ الخطير ان ننسب للقرآن اكبر القيم في بيان طابع الاسلام بوجه عام ، كما اننا من باب اولى لا نستطيع ان نؤسس حكمنا على الاسلام مستندين الى هذا الكتاب وحده ... والواقع ان هذا الكتاب لم يحكم الاسلام الا في خلال العشرين سنة الاولى من نموه ".(١) .

وقواميس اللغة العربية لا تفيدنا كثيرا في دراسة اشتقاق هذه الكلمة ، وذلك لانها وضعت بعد تدوين الحديث النبوى ووقعت بذلك تحت تأثيره (٢) فهي لذلك عاجزة عن ان تعطينا فكرة صادقة عن اشتقاق هذه الكلمة وبدء استعمالها بالمعنى السيحي . ومحاولة ايجاد اصل هذه الكلمة التي قام بها ياقوت تعطينا صورة واضحة عن التخبط الذى وقع فيه اصحاب القواميس : " فاما المهدى ففي اشتقاقه عندى اربعة اوجه احدها ان يكون من المَهْدى ويعني بفتح ميمه انه مُسْتَدٍ في نفسه لا انه هداه غيره ولوكان ذلك لكان المُهْدى بضم الميم ... ويجوز ان يكون المهدى منسوبًا الى مكان المَهْدى ...

---

(١) العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٢٣ .

(٢) راجع : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢٠ ، ص ٢٢٨ وما بعدها .

والوجه الثاني وهو الذي يراه النحويون في هذا ان المهدى هو مفعول من هَدَى يَهْدِي فهو مَهْدِيّ ... والوجه الثالث ان يكون منسوبا الى المهد تشبيها له بعيسى م فانه تكلم في المهد فضيلة اختَصَّ بها وانه يأتي في آخر الزمان فيهدى الناس من الضلالة ويردّهم الى الصواب ٠٠ (١)

واما اخبار المهدى التي تعج بها كتب الحديث النبوى - والتي سندرسها مفصلا فيما بعد - فما هي الا اختراع متأخر . ولقد اكد لنا Hurgronje (٢) بحجج قوية جدا ان النبي لم يعرف شيئا من " المهدى المنتظر" هذا .

ونحن اذا تركنا هذه الاصول الاسلامية جانبا ، وحاولنا ان نعود الى ما قبل الاسلام لنرى اى اثر لكلمة مهدى فحظنا من التوفيق في هذه المحاولة ضعيف جدا ان لم يكون معدوما . فكتاب الاشتقاق ، لابن دريد ، مثلاً، لا يذكر مطلقا اى شخص جاهلي ، حتى ولا مخضرم تسمى بهذا الاسم . ولقد وجدنا اشارات الى ما قد تكون اقدم تسمية بهذا الاسم ، هذا اذا صحت . اما هذه الاشارات فهي الاخبار المضطربة المتناقضة التي وصلتنا عن مجنون بني عامر - اومجنون ليلى - الذى عاصر الخليفة الاموى مروان بن الحكم (٣) (٦٤-٦٥) فمجنون بني عامر هذا يحمل اسم مهدى (٤) جنبا الى جنب مع الاسماء الكثيرة التي يحملها . ولسنا ندرى ان اسمه هو مهدى ام انه لُقّب به تهمنا بان يشفى من جنون الحب ، الم تلقب العرب الملسوع بالسليم ؟ فاذا صحت هذه التسمية ، او هذا التلقيب فانه يشير الى استعمال هذه التسمية قبل ثورة المختار . ويذكر الاصبهاني ، ان المجنون

(١) معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٦٣ - ٦٦٤ .

(٢) Vers. Geschirften, vol. I. pp. 147 - 148.

(٣) الاصبهاني ، كتاب الاغاني (مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م)

(٤) = ج ٢ ، ص ١٦ .

= = = = = = = = = ص ٦ (١٩٠٤٧٥٩

كان يلقب بأبي المهدى [١] ، فهل كان اسم ابيه هو المهدى ، وهذا يشير الى استعمال اقدم لهذه التسمية ؟ وهنالك استعمالات اقدم من هذه بكثير يشير اليها نسب ليلى - حبيبة قيس . فهي " ليلى بنت مهدى " [٢] ، او " ليلى بنت سعد بن مهدى " [٣] ، او " ليلى بنت مهدى بن سعد (او سعيد) بن مهدى " [٤] . وهكذا نستطيع ان نحكم ان هذه الكلمة عربية جاهلية ، لولا الاخبار التي تؤكد ان شخصية المجنون شخصية خرافية لا وجود لها [٥] . ما اجمل هذه الكلمة واوسع صدرها ! فهي ، بما تحويه من روعة وجمال وخيال ، كانت منذ البدء ستارا يتستر به كل من لا يحب ان يطلع الناس على مكنونات قلبه . فكما استعملها المختار - وبعده الكثيرون - كستار للوصول الى اهدافه السياسية ، كذلك استعملها العاشقون ؛ هكذا يقول الاصبهاني : " عن ابن الكلبي قال : حُدِّثت ان حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني امية كان يهوى ابنة عم له ، وكان يكره ان يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون وقال الاشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها اليه . " [٦] و " عن عوانة انه قال : المجنون اسم مستعار لا حقيقة له ، وليس له في بني عامر اصل ولا نسب ، فسئل من قال هذه الاشعار ؟ فقال : فتى من بني امية . " [٧] .

استعمال الكلمة بغير معناها " المسيحي " :-

من المرجح جدا ان يكون هذا الاستعمال - الذى نحت من روح الاسلام - بدأ قبل الاستعمال المسيحي . ولم يظهر الفرق بين هذين الاستعمالين بوضوح اللهم الا انه

---

(١) المصدر نفسه ، ص٢٣ ، ٩٨ . (٢) - ، ص ٤٠ . (٣) - ، ص ٥ .
(٤) ، ص ١١ ، ٤٤ ، ١٠ . (٥) - ، ص ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ . (٦) ، ص ٤ .
(٧) ، ص٨ .

ثورة المختار . وكان هذا الاستعمال الاول يقال في معرض مدح شخص ما بمعنى انه كان يسير دائما في الطريق المستقيم الذي يرتضيه الله ودينه . فهو لذلك لقب تعظيم لا يخلو من الطابع الديني ، ولكن دون ان يكون له معنى مسيحيا .
وهذه امثلة (×) على هذا الاستعمال الذي تفشى بين المسلمين - سيما الشعراء - خصوصا في العصر الاموي .

فهذا جرير يمدح به النبي ابراهيم :

ابونا ابو اسحاق يجمع بيننا   أبٌ كان مهديا نبيا طاهرا (١)

وهذا حسان بن ثابت في رثاءه للنبي محمد يمدحه به :

ما بال عينك لا تنام كأنما   كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعا على المهدي اصبح ثاويا   يا خير من وطئ الحصى لاتبعد (٢)

ورووا عن النبي انه مدح به علي بن ابي طالب ، اذ انه قال في معرض تبيانه لاقدار الذين قُدِّر لهم ان يخلفوه " وان تؤمروا عليا ولا اراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الصراط المستقيم ." (٣) . ومدحت به الاوساط السنية جميع الخلفاء الراشدين ، بل وكل من سار سيرتهم : " وفي الحديث سنة الخلفاء الراشدين المهديين ... يريد بالخلفاء ابا بكر وعمر وعثمان وعليا رضوان الله عليهم وان كان عاما في كل من سار سيرتهم ." (٤) . ولما وصلت جموع جيش التوابين

---

(١) كتاب النقائض (نشر بيفان ، طبعة ليدن ١٩٠٨ - ١٩٠٩) رقم ١٠٤ بيت ٢٩ .
(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري (نشر عبد الرحمن البرقوقي مصر ١٣٤٧=١٩٢٩) ص ١٦٢
(٣) ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة (طبعة مصر ١٢٨٦ هـ) ، ص ٣١ .
(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢٠ ، ص ٢٢٩ .
(×) استعنا في الوصول الى بعض هذه الاستعمالات بكتاب العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٣٤٠ - ٣٤٢ .

الى قبر الحسين ابتهل شيخهم - سليمان بن صرد - الى الله قائلا : " اللهم ارحم حسينا الشهيد ابن الشهيد المهدي بن المهدي الصديق بن الصديق ." (١)

وعقب ثورة المختار تفشى هذا الاستعمال - الى جانب الاستعمال المسيحي - بصورة واسعة . فهذا الحجاج بن يوسف ، وقد جاء الى الحجاز نعي الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ، يرثيه بقوله " كان والله البازل الذكر رابعا من الولاة الراشدين المهديين ." (٢) ، ومدح جرير الخليفة سليمان بن عبد الملك بقوله :

سليمان المبارك قد علمتم ... هو المهدي قد وضح السبيل (٣)

ويذكر المسعودي (٤) ان سليمان هذا لقب بالمهدي " لما احدث من قطع ما كان على المنبر وعهده الى عمر بن عبد العزيز " .

والظاهر ان الذين مدحوا عمر بن عبد العزيز بلقب المهدي عنوا اكثر مما نحن بصدده ، نعني عنوا المعنى "المسيحي " لهذه الكلمة (٥) ، مما اضطر الاحاديث المتأخرة ان ترفض مهديته رفضا باتا .(٦)

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٥٤٦ .
(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ .
(٣) ديوان جرير (طبعة القاهرة سنة ١٣١٣ هـ) ج ٢ ، ص ٤٠ .
(٤) التنبيه والاشراف ، ص ٣٣٥ .
(٥) راجع : ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٢٤٥ .
(٦) راجع المطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٨٢ . القرطبي ، التذكرة ، ص ٢٢٩

وفي العصر العباسي احتفظ هذا الاستعمال بمركزه ، فمنذ اعتلى الخليفة العباسي الاول - ابو العباس السفاح - عرش الخلافة ، مدحه احدهم بقوله :

اصبح الملك ثابت الآساس   بالبهاليل من بني العباس
يا امير المطهرين من الرجس ويا رأس منتهى كل رأس
انت مهديّ هاشم وسواكم   اناس يجوك بعد اياس [1]

وفي سنة ٥٧٦ = ١١٨٠ مدح ابن التعاويذي الخليفةَ العباسي الناصر بهذا اللقب ، وعبر عن شدة اعجابه به بأنه رأى في خلافته ما يغني عن انتظار المهدي :

انت الامام المهدي ليس لنا   امام حق سواك ينتظر
تبدو لابصارنا خلافا لأن   يزعم ان الامام منتظر [2]

مما تقدم نرى ان كلمة " مهدي " استعملت قبل المختار وبعده بمفهوم غير مفهومها المسيحي . فهل يا ترى تطور المفهوم الثاني عن الاول ، كما يزعم فان فلوتن [3] ؟ ربما كان هذا ما حدث ، عندما اراد مَنْ اراد نقل فكرة " المسيح " او " المخلص " الى العربية ، لم يجد افضل من استعمال هذه الكلمة التي سبق واستعملت في معنى قريب من هذا المعنى .

والآن وبعد ان فحصنا ان الاسلام بقرآنه وبنبيه لم

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٣١ .
(٢) ديوانه (نشر مرجوليوث ، طبعة مصر ، ١٩٠٣) ، ص ١٥٨ .
(٣) السيادة العربية ، ص ١٢١ .

يذكروا فلحسبا هذه الفكرة ، علينا ان نعود لمجابهة السؤال الذى طرحناه سابقا : من اين جاء المختار بفكرة المهدى هذه ؟ هل كان هو اول من ادخلها حوزة الفكر الاسلامي ؟ نحن نشك في ذلك كثيرا ، بل نعتقد ان الفكرة كانت معروفة عند المسلمين قبل ان يستعملها المختار ، ونقول ذلك لسببين الاول ، ان تَصَرُّف الناس حيال دعوة المختار لمهدية ابن الحنفية يدل على انهم كانوا على علم بهذه الفكرة . الثاني ، ان الناس كانوا ضعيفي الثقة بالمختار ، فلو انه طلع عليهم بفكرة كهذه لما صدقه احد سيما الاشراف ، بل لهاجموها ، ونحن لا نعلم ان احدا فعل ذلك ، بل ان الناس هرعوا الى ابن الحنفية يستفهمون عن صحة دعوى مهديته . واذا لم يكن المختار هو الذى ادخل هذه الفكرة فمن ادخلها ؟ عبد الله بن سبأ ، او تلاميذه ؟ لسنا ندرى لعدم وجود اى دليل يدعم احدى هذه الافتراضات .

وما دمنا قد فشلنا في معرفة الذى ادخل هذه الفكرة ، فلنحاول ان نعين ، على وجه التقريب ، الفترة التي دخلت فيها ، والظروف التي ساعدت على ذلك .

يقول جولد تسيهر ان فكرة المهدى خرجت من الامال الصامتة التي كانت تجيش بها صدور الاتقياء(×) الساخطين على الحكم الاموى والذين اخذوا - بعد فشلهم

(×) كنا نتوقع ان يتابع جولد تسيهر قصة تطور فكرة المهدى في اوساط الاتقياء - الصوفيين فيما بعد - ولكنه لسوء الحظ لم يفعل .

./ ..

الظاهر - يعتقدون ان على المرء ان يضع رجاءه في الله الذى سيحكم يوما ما العالم الملئ بالظلم والآثام [1] ويقول يوطدمن " ان من المحتمل جدا ان الفشل الظاهر الذى اصاب الملكة الاسلامية في توطيد اركان العدل والتساوى على زمن دولة الامويين (٤١ - ١٣٢ هـ) كان من الاسباب لظهور فكرة المهدى آخر الزمان " [2] وهذا يعود بنا الى موضوع تكلمنا عنه كثيرا ، مسألة معارضة الخلافة الاموية ، سيما نوعان من هذه المعارضة الاتقياء والزهاد عموما ، والشيعة .

وسنتكلم الآن عن منحى هذه المعارضة على اعتبار المكان الذى تركزت فيه قوتها : العراق . ففي هذا القطر تفشى التشيع لعلي وآل بيته ، وفيه تجلى الميل الزهدى بعيد الفتح الاسلامي وفي صدر الخلافة الاموية [3] ولقد ضاعف من اسباب استياء هذين العنصرين السياسة التي انتهجها الامويون في معاملة اهل العراق ، اذ اتبعوا معهم سياسة شدة وعنف لم يتبعوها حيالها في سوريا ، ما جعل العراقيين يعتقدون ان حكمهم هو تسلط سوري على العراق ، وتشبثوا بذكرى علي واصبحوا ينظرون اليه كأنه بطل عراقي [4] ومن مدن العراق نستطيع ان نخص الكوفة بتركيز عناصر المعارضة والثورة . ولقد سبق لعلي ان بالغ في مدح هذه المدينة [5] . والواقع ان

(١) العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٧٤ .
(٢) عقيدة الشيعة ، ص ٢٣١ .
(٣) جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ١٣٠ .
(٤) Della Vida, Encyc. of Islam, Vol.IV, art. UMAIYADS p.1000.
(٥) راجع : ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧٣ .

عناصر الثورة كانت كاملة النمو في هذه المدينة التي عرف المختار الداهية كيف ينتخبها دون سواها . ونذكر ما يقوله برنارد لويس عن ظروف الكوفة آنذاك : " ولقد بدأت الثورة في الكوفة وهي مدينة هيأتها الظروف لتكون مصدرا لمثل هذه الحركة ومستقرا لها ، فقد كانت مدينة جديدة آخذة في التوسع ، يسكنها الناس من مذاهب وأجناس لا تحصى ، كلهم مضطرب مستاء يكره الحكومة والمذهب الذي تمثله والطبقة الظالمة التي تؤيدها . وهكذا كانت الكوفة حينما بدأ المختار فيها ثورته . كانت مسرحا لحركات مختلفة مصطبغة بفكرة ظهور المسيح ، فيضمها احداث ثورة اجتماعية ."(1) فبرنارد لويس اذا يعتقد ان فكرة المهدية كانت معروفة في الاوساط الكوفية قبل ان يبدأ ثورته . ولقد سبقه الى هذا الاعتقاد فان فلوتن(2) ، ونحس ايضا ... نميل الى هذا الاعتقاد . فمن الواضح ان اناسا كأهل الكوفة كانوا في حاجة الى حاكم النبي يحكمهم ، لأن احدا من الحكام البشر لم يعجبهم . ومنذ وقت مبكر جدا تبرم بهم عمر بن الخطاب قائلا : " اعضل بي اهل الكوفة ما يرضون اميرا "(3). واقوال كالتي ينسبونها الى عبد الله بن عمر انه قالها ، كقوله " يا اهل الكوفة انتم اسعد الناس بالمهدى "(4). تعطينا صورة عن ما كان يدور بين اهل الكوفة من احاديث حول ظهور الحاكم المنتظر الالهي : المهدى . ففي بيئة الكوفة

---

(1) اصول الاسماعيلية ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(2) السيادة العربية ، ص ٩٦ - ١٠٢ .

(3) ابن دريد ، كتاب الاشتقاق ، ص ١١٠ .

(4) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ١٦٤ .

هذه كانت تتردد بين الناس احاديث المهدى هذا وظهوره .
ولما اراد المختار ان يحرك جموع الكوفة للثورة ضد الحكام
من جهة ، والخلافة من جهة اخرى ، لم يجد الى
ذلك وسيلة خيرا من تحريكهم باسم ذلك الذى كانوا ينتظرونه
ليل نهار : المهدى .

والآن - بعد ان قطعنا في ان فكرة المهدى
دخلت على الاسلام بعد عصر النبي - نستطيع ان نقول
انها دخلت في تلك الفترة العصيبة التي بدأت بالثورة
على عثمان ، ثم تركز الايمان بها في مدينة الكوفة .
ولكن من اين جاءت فكرة المهدى هذه الى الاسلام ؟
اما المؤرخون المسلمون الاقدمون فلم يتعرضوا قطعيا لهذا
السؤال لانهم - كما يظهر - لم يشكوا في صحة نسبتها
الى النبي . ونحن نستطيع ان نلحق بهم من تلاهم
باستثناء ابن خلدون الذى سنأتي على آرائه ، بخصوص
هذه الفكرة ، فيما بعد .

اما المؤرخون المحدثون فلم يتفقوا فيما
بينهم على مصدر هذه الفكرة ، مع انهم مجمعون - باستثناء
ماسنيون - على انها غريبة عن الاسلام . ولقد لاحظ برنارد
لويس هذا الاختلاف ، فقال : " وقد نسبت هذه العقيدة
الى اصول مختلفة : فدارمستتر ينسبها الى اصل فارسي
فيقول جاء بها الى الاسلام جماهير من الفرس لم يكتمل
اسلامهم حملوا معهم الفكرة الآرية القائلة بوجود اسرة ذات
نشأة الاهية تتوارث نور الله (ايزدان) من جيل الى جيل

حتى تنجب اخيرا (سا اوشنت) او المسيح . وقد انتقلت هذه الفكرة الى اسرة النبي وشخص علي . وسنوك يقبلها الى اصل مسيحي مبني على فكرة عودة عيسى المسيح ونهاية العالم. اما جولدزيهر فيتابع دارمستتر ويذهب الى ابعد منه اذ يعزو الآراء الغالبة الى دعاية متنية مقصودة . ونجد ماسنيون اخيرا يرجع بفكرة المهدى الى الاسلام فيقول انها نشأت من القرآن وتقاليد المسلمين ومن القصص الشعبية العربية ، وانتعشت بتأثير الاحوال الاجتماعية ". [1] ونضيف الى هذه الآراء المتضاربة التي جمعها لويس رأى مارجليوث [2] وجولد تسيهر [3] اللذان يعتقدان ان الفكرة التي كانت سائدة عن رجعة (ايليا) هي الانموذج الاول للمهدى الاسلامي ، ورأى فان فلوتن [4] الذى يفسرها الى واضعين يهود او نصارى من بين الذين اعتنقوا الاسلام .

وفي معرض دراستنا لهذه الآراء نبدأ برأى ماسنيون الذى اتبع سبيلا غير الذى اتبعه البقية ، فهو لا يعتقد ما يعتقده الآخرون من ان الفكرة جاءت الى الاسلام من الاديان الاخرى ، بل يذهب الى انها " نشأت من القرآن وتقاليد المسلمين ومن القصص الشعبية ... " ونحن لا نعتقد بصحة رأيه ، فهذه المسائل التي ذكرها على انها المصدر

---

(١) اصول الاسماعيلية ، ص ٨٥-٨٦ .
(٢) Encyc.of Rel. & Eth. Vol.VIII,art.MAHDI p.336
(٣) العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ١٩٢ .
(٤) السيادة العربية ، ص ١١١ ، ١١٤ .

../..

الذى نشأت عنه فكرة المهدية ، لم تكن سوى العوامل التي ساعدت على (١) تقبل العقلية الاسلامية لها ، كما ساعدت فيما بعد على (٢) تطورها ، و (٣) دخولها في حوزة التراث الاخروى الاسلامي ، وهذه مسائل سنتعرض لها مع الكثير من التفصيل فيما بعد .

اما بخصوص ما تبقى من المؤرخين فانهم يعتقدون ان اصول هذه الفكرة ترجع الى احد الاديان الثلاثة : المجوسي ، اليهودى ، والنصراني . ومع اننا نرجح هذا الرأى ، غير اننا لا نستطيع ان نحكم من اى هذه الاديان الثلاثة جاءت الفكرة الى الاسلام . وذلك لان هذه الفكرة كانت متفشية آنذاك بين سكان العالم الذى اصبح فيما بعد العالم الاسلامي . اسلم الكثيرون ممن كانوا مجوسا او يهودا او نصارى ... فدخلت الفكرة معهم الى الاسلام واتخذت لنفسها اسما عربيا وطابعا اسلاميا ، وبقيت غير ذات خطر الى ان عرف ذلك الداهية المغامر ، المختار ، كيف يستغلها . ومنذ ذلك الوقت اصبحت قوة لها خطرها في تاريخ الاسلام السياسي ، ثم الديني .

ونحن لا نستطيع ان نقول ان فكرة المخلص هذه كانت فارسية او يهودية او نصرانية ، لقد كانت اكبر من ذلك واعم ، انها تراث ورثته العصور الوسيطة عن العصور القديمة . وهي اكبر من ظاهرة دينية ، فهي ظاهرة انسانية ذات علاقة متينة جدا مع نفسية الجنس البشرى وعقليته . انها خير تعبير عن عجز الانسان امام قوى الطبيعة من جهة ، وامام اخيه الانسان (سيما الحاكم) من جهة اخرى .

وقبل ان نسترسل في تتبع تطور هذه الفكرة كما شهدها المجتمع الاسلامي ، علينا ان نرجع القهقرى لنذكر شيئا بسيطا عن ماهية هذه الفكرة ومنشأها وتطورها عند مختلف الامم قبل ان تصل الى عالم الاسلام .

(((الفصـــل الـــثاني)))

منشأ فكرة المخلص (المسيح) (×)

مصـر مهد الفكـرة : -

يـذهب برستد الـى ان فكـرة المسيح ظهـرت لاول مـرة فـي التاريخ فـي مصـر . واول مـن نـادى بهـا شاعـر اسـمه (ابيوير) يصفه برسـتد تارة بأنـه " نـبي متكـهن " (1) ، وتارة اخـرى بأنـه " نـبي اجتماعي " (2) ، والواقـع انـه جـدير بهاتين الصفتين . عاش هـذا الشـاعـر فـي فـترة عصيبة جـدا مـن تاريخ مصـر : تلـك الفـترة الـتي اخـذت فيهـا السـلطة تنتقـل من الشمال الـى الجـنوب ، الـى مدينة(طـيبة) ، تلـك الفـترة الـتي شـهـدت انتقـال مصـر مـن " المملكة القـديمة " الـى " عصـر الاقطـاع " (3).

ولـم يكـن ابيوير اول مـن تـبرم بأوضـاع زمـانـه ، اذ سـبقه اناس كـثيرون مثـل فتاحـوتب واسـقف هليوبولس ، وتـبرم بعـده كـثيرون مثل امنمحيت الاول (ذلـك الفرعون الـذي أسس الاسـرة الثانيـة عشـرة ، حـوالي سـنة ٢٠٠٠ ق . م) وكـان مثـال الحاكـم الصـالح ، ولكـن بعض الـذين احسـن اليهـم مـن رجـال حاشيته حـاولوا ان يغتالوه ، فتشـاءم مـن الـناس والحـياة تشـاؤمـا مـريرا ، (4) وخيخبيري - سـونبو الـذي كـانت كـتاباتـه الادبـية مليئة بالتشـاؤم والتـبرم بالحـياة : انهـا ثورة علـى

---

(1) A History of Egypt, p. 204.

(2) The Dawn of Conscience, p. 194.

(3) Breasted, Dev.of Relig. & Th.In Ancient Egypt, p.210.

(4) " " " " " " " p. 202-3.

(×) للاطـلاع على الآراء المتضاربة حول قدم هذه الفكرة - راجع :

C. W. Emmet, Encyc. of Rel. & Eth., Vol.VIII, art. MESSIAH, p. 5?4-5.

الظلم الاجتماعي (١) .

ونحن اذا عزونا تشاؤم ابوير والذين سبقوه الى الظروف السيئة التي كانت تجتاح مصر ، فاننا لا نستطيع ان نفعل ذلك بخصوص الذين اتوا بعده وعاشوا في ظل حكم السلالة الثانية عشرة ، تلك السلالة التي تمتعت مصر في ظلها بنجاح لا عهد لها به ، ملكية مركزية قوية ، وحدود ثابتة مصونة ، وفتوحات وغزوات في الجنوب والشرق . وفي عهدها اتسعت الاعمال في المناجم الشرقية سيما مناجم الذهب في بلاد النوبة . وقوى الاتصال التجاري مع الواحات . واتسعت التجارة مع النوبة وسوريا وبابل والجزر الايجية . وبالخلاصة نقول ان الحضارة في هذا العصر عمت مصر تماما ، ولم يكن هذا الادب الاجتماعي الذي نحن بصدده الا احد مظاهر هذه الحضارة (٢) . ومع ذلك فقد انتشر الادب التشاؤمي في هذا العصر انتشاراً لا حد له ، ذلك الادب الذي كانت فكرة شعور (الظلم) ملازمة له .

ونحن لا نستغرب ذلك اذا تفهمنا حقيقة واحدة وهي ان تذمر الانسان بالدنيا وتطلبه للعدالة الاجتماعية لا يدل على سوء الاوضاع الاجتماعية بقدر ما يدل على ارتقاء المجتمع ودقة وعي الانسان .

فازدهار الحياة وتوسع الاعمال والغنائم والاسلاب

---

(١) Breasted, Dev. of Relig. & Th. In Ancient Egypt, p. 199-202.

(٢) Breasted, A History of Egypt, p. 157-208.

التي كانت تدر على مصر في عصر الاقطاع اعظم الثروات لم توزع على الشعب - طبعا - بنسبة متساوية ، فاصبح الغني ذو الغنى الفاحش ، والشخص العادي الذي بقي على ما كان عليه ، او لنقل انه استفاد قليلا من الظروف الجديدة . ومن الطبيعي ان ينظر هذا الى ذاك نظرة حسد . لذلك اخذ يطالب بالعدالة الاجتماعية . اليست هذه الظروف نفسها هي التي مهدت السبيل لانتشار فكرة المهدي في العصر الاموي ؟ ومهما يكن من امر فقد وصف برستد هذا العصر بأنه فجر ظهور الوعي الاجتماعي الانساني ،[1] ونحن نستطيع ان نقول ان ظهور فكرة المهدى في الاسلام كان فجر ظهور الوعي الاجتماعي في العصور الاسلامية ، ذلك الوعي الذى زخ بذور النبي .

والآن لنعد الى ابوير[2] ، اول من نادى بفكرة ظهور المخلص ، وهو على رأس اولئك الذين - رغم تحمسهم لسوء الاوضاع في مصر - تنبئوا بقرب الفرج على يد هذا الحاكم الآلهي .

يبدأ هذا الشاعر كلامه بوصف المساوئ التي كانت عليها دنيا تلك الايام في مصر ، فجهاز الحكومة سيء معطل ، ولا احد يلتفت الى القوانين ، بل انها تنتهك علنا . وهكذا يسير في وصف تلك الظروف بعبارات قوية جدا " حقا ، الموظفون يذبحون ،

---

(1) Dev. of Relig. & Th. In Ancient Egypt, 202, p.129,

(2) ها نحن نلخص ما ورد في : Dev. of Relig. & Th. In Ancient Egypt, p.203-16.

راجع ايضا بدراسته : The Dawn of Concience, p. 194 - 200. A History of Egypt, p.204-5.

وسجلاتهم تنهب . ويجي من شتاء هذا الزمن ."

" انظر كيف يذبح الانسان بغيب اخيه ، بينما هو (الاخ)
يتركه لينجو بنفسه ." " الرجل يعد ابنه عدوا له "
" يذهب الرجل ليحرث ارضه وهو يحمل ترسه " " الدم
في كل مكان ..." " انظر كيف ان شرذمة من الوضعيين
يحاولون حرمان البلاد من الملكية ..." ثم يتكلم عن تعريض
البلاد لغارات الغزاة الاجانب ، وكيف ان الاغراب يستغلون
البلاد ." انظر ، جميع اصحاب الصنع ، انهم لا يشتغلون،
ان اعداء البلاد قتلوا صناعاتها . انظر ، ان الذى
يحصد الزرع لا يدرى عنه شيئا ، والذى لم يحرث يملأ
مخازنه ..." والبلاد تعاني ازمة نقص في المواد الغذائية
والالبسة : " لقد حرم الناس من الشعير والبوائح والدهونات
والكل يقول لا يوجد . المخزن فارغ ، وحارسه منبطح
على الارض ". وهكذا يسير هذا الشاعر في وصفه لسوء
الحالة آنذاك ، فالتجارة مع الخارج ميتة ، والنهب والسرقات
شيء مألوف ، الابنية تنهب وتدمر ، حتى الاهرامات والقبور
لم تسلم من ذلك ، ولا احد يدفن موتاه في القبور ،
بل انهم يرمون في النهر ، لقد افتقر الفقير ، وافتقر
الغني ، وتدهورت الاخلاق وضعف الايمان بالدين ، وهكذا
اصبح الوضع لا يطاق ، حتى انه " حقا ، الكبير والحقير
يقول ، ليتني اموت ، والاطفال الصغار يقولون ليتنا لم
نخلق " .

بيد ان ابوير لا يترك الناس اسارى للمخاوف
التي اثارها في نفوسهم ، بل انه دعاهم الى العمل ، الى

محاربة اعداء البلاد .

وبعد ذلك ينتقل الى فقرة يعدها برستد لا اهم ما ورد في مقالته فحسب ، بل اهم ما ورد في جميع الادب المصري على الاطلاق ـ انها نبوءة بمجيء " المخلص " . فهو في هذه الفقرة يبشر بمجيء الحاكم المثالي الذى يلتهب شوقا الى ظهوره ، والذى يقول في وصفه : " انه يبرد اللهب . يقال انه راع لجميع الناس . لا يوجد في قلبه شر . وعندما تقل قطعانه ، يقضي يومه في لم شعثها ، فقلوبها مضطربة . ليته ادرك (فطن الى) خلقهم في الجيل الاول (x) . اذا لكان قضى على الشر . ولكان مد ذراعه دونه . ولكان قضى على بذوره ونسلها ... اين هو اليوم ؟ أمِنَ الممكن ان يكون نائما ؟ انظر ، فقوته غير مرئية " وبالرغم من عدم وجود عنصر تنبوء صحيح في هذه الفقرة فان برستد يستنتج من سياق الكلام انها تتنبأ بظهور الحاكم المثالي : المسيح ، ويقول مؤكدا : " هذه هي المسيحية " قبل ظهورها بين العبرانيين بألف وخمسمائة سنة . (1)

والآن سنتكلم عن متنبيء آخر (نيفيرهو) لا تختلف نبوءته عن نبوءة سابقه الا في مسألة طفيفة ، ولكنها بالنسبة لنا ذات اهمية . فبعد عبارات تصف سوء حال تلك الايام وصفا مؤثرا ، ينتقل الى نبوءته بظهور

(1) Dev. of Relig. & Th. In Ancient Egypt, p.212

(x) يقول برستد ان فكرة الحاكم المثالي هذه ما هي الا صدى لذكريات حكم الاله (راع) ، اله الشمس الخرافي : Dev. of Relig. & Th. In Ancient Egypt, p. 211, 251. The Dawn of Conscience, p. 219.

الملك الذى سينقذ البلاد من آفاتها . " سيكون ملك يأتي من الجنوب اسمه (اميني) . وهو ابن لامرأة من النوبة ، ولدت في مصر العليا . سيأخذ التاج الابيض،ولبس التاج الاحمر ، ليوحد التاجين ، سيصلح بين البلادين (مصر) حسب رغبتها ...

" سيعود الهدى الى مكانه ، والضلال سيطرد . فليغتبط كل من يراه ، وكل من يخدم الملك ".

والمهم في هذه النبوءة - وهو اختلافها من نبوءة ابيوير - هو ذكر اسم هذا المخلص . ومما هو جدير بالذكر ان كلمة (اميني) هي تلخيص شائع معروف لاسم الفرعون امنمحيت الاول مؤسس السلالة الثانية عشرة ، والمجدد لقوة مصر ووحدتها في عصر الاقطاع (حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م) . فاذا صح احتمال برستد ان هذه النبوءة حطها هذا الشاعر من الجنوب الى الشمال في الوقت الذى كان يستعد فيه امنمحيت الاول لاحتلال الشمال ، كدعاية له . نقول اذا صح هذا الاحتمال فان هذا الحادث عظيم الشبه بما فعله دعاة العباسيين من التبشير بظهور المهدى من المشرق . وتكمل هذه المقارنة اذا علمنا ان هذه القطعة الادبية نسبت - عمداً - الى عصور قديمة ، فقيل انها القيت في حضرة الفرعون (سنفرو) - اى قبل عصرها الحقيقي بألف سنة . الم يضع العباسيون نبوءاتهم بظهور المهدى على لسان النبي ؟

The Dawn of Conscience p. 200- 205

وهكذا سارت هذه النبوات بظهور المخلص

وهم بين الناس ادب الشكوى والتبرم بالاوضاع الاجتماعية ،

خصوصا ما تمتعت به مصر في عصر الاقطاع - كما بينا

سابقا - من رخاء ورفاهية . ويؤكد برستد [1] ان الكثيرين

من فراعنة عصر الاقطاع تأثروا كثيرا بهذه النبوات ، فاصلحوا

حكوماتهم وانفسهم حسب ما تتطلبه من الحاكم المثالي .

فهل هذا يشبه ما فعله فيما بعد عمر بن عبد العزيز ،

والخليفة المهدى (ولو بصورة ممسوخة) ؟

ومهما يكن من امر فان افكار المثالية

الاجتماعية هذه التي جاء بها الانبياء الاجتماعيون المصريون

قبل ان تولد الامة العبرانية بأكثر من الف سنة - انتشرت

كثيرا في مصر ومنها انتقلت الى الهلال الخصيب .

فأخذها الفينيقيون والكنعانيون ، ومنهم انتقلت الى العبرانيين

حيث نادى بها انبياؤهم . وهكذا فالافكار " المسيحية "

التي نادى بها انبياء اليهود ، بضاعة مصرية ، شكلا

وموضوعا . ويضيف برستد الى هذا قوله ان هذا

الادب الاجتماعي المصري بقي متداولا حتى العصور

النصرانية الاولى . [2]

الفكرة في العهد القديم -

بعد استعراض [3] طاقة العهد القديم

---

(١) The Dawn of Conscience, p. 208 - 216

(٢) A History of Egypt, p. 205. Dev. of Relig. & Th. In Ancient Egypt, p.215 - 6. The Dawn of Conscience p. 362 - 4

(٣) Encyc. of Rel. & Eth., vol.VIII, art. Messiah, p. 570 - 5.

بالفكرة ، يستنتج س . و . امت (ص ٥٧٤) ان فكرة انتظار اليهود للمسيح تحتل مكانا ثانويا . فالمسيح لم يذكر حتى في الكتابات المتعلقة بالحشر . فالمخلص اولا وآخرا هو (يهوى) . على ان هنالك اشارات متعددة للآمال التي كان يعقدها اليهود على اسرة داود ، وهو يعلل ذلك بأن اليهود - اثناء تدهورهم - اخذوا ينظرون نظرة مثالية الى هذه الاسرة التي اصبحت خصوصا في نظرهم " العصر الذهبي " الذى تمثلوا بحمته على يد مبعوث من لدن يهوى .

وفضلا عن خلو (او قلة) ذكر الاماني المسيحية في الكتابات الدينية ذات الشأن الرفيع ، فلقد انتشر هذا الايمان بين عامة الشعب انتشارا كبيرا . وكان هذا الايمان يظهر ويختفي بصورة غريبة .

تطور الفكرة بعد العهد القديم[1] -

ثم ظهر السيد المسيح فآمن بسه من آمن وكفر من كفر ، وانتشرت فكرة المسيح في العهد الجديد ، سيما في الاناجيل .

وبعد ظهوره نمت الفكرة كثيرا عند اليهود ، سيما في القرن الاول المسيحي . وكما ذكرنا اعلاه بقيت بالدرجة الاولى عنصرا هاما جدا في ديانة

---

(١) I bid. p. 575 - 581.

ماضي الشعب . ثم اخذت شيئا فشيئا تدخل حيزة فلسفة الحشر (x) . حتى تم الاعتقاد بها . والبند الثاني عشر من (قانون الايمان) اليهودي كما وضعه موسى بن ميمون ، يذكر ما يلي : " اعتقد بايمان كامل بمجيء المسيح ، ومع انه يتأخر سأنتظر مجيئه يوميا ."

المتمسحون :- (١)

منذ السقوط النهائي للدولة اليهودية حتى اجيال قريبة لم ينقطع ظهور المتمسحين اليهود الذين اخذوا على عاتقهم ارجاع الشعب اليهودي الى الارض التي نفي منها اجداده . وصحب ظهورهم - سيما القدامى منهم - قيام ثورات . وكثر ظهور هؤلاء المتمسحين خصوصا في الازمنة والامكنة التي اشتد فيها اضطهاد اليهود . ولقد كانت حركاتهم - سيما المتأخرين منهم - ذات طبيعة سياسية وهذا لا يعني عدم وجود الحافز الديني . هذا وسببت هذه الحركات ، في بعض المناسبات ، قيام فرق يهودية جديدة . ومع ان بعض المتمسحين حمل لقب المسيح ، من تلقاء نفسه ، رفض البعض الآخر هذا اللقب ، ولكن اتباعه البسوه اياه رغما عنه . والكثيرون من هؤلاء لم يدعوا انهم المسيح ، انما ادعوا فقط انهم الممهدون له .

---

(١) ملخصة عن Albert M. Hyamson, Encyc. of Rel. & E th., Vol. VIII, art. MESSIAHS (PSEUDO-) p. 581 - 8.

(x) ولقد تأثرت اتجاه ذلك (عند اليهود) بخرافات كثيرة وافكار من ذات الطابع ، فارسية وبابلية .

كثر ظهور هؤلاء المتمسحين في القرن المسيحي الاول ، ثم استمر في العصور التالية ، ولما جاء الاسلام اخذ يظهر هذا التمسح او ذاك بين الفينة والاخرى في الغرب المسيحي والشرق الاسلامي : في روما والاندلس ، وتركيا وفلسطين وشمال افريقيا ... او كانوا يتنقلون بينها . ومما لا شك فيه انه كان لظهور هؤلاء المتمسحين اثرا قويا في ظهور المتمهدين المسلمين . والشبه القوي بين هؤلاء واولئك يدعم ما نقوله : فمعظم هؤلاء المتمسحين كان يدعي الانتساب الى اسرة داود ، كما ادعى المتمهدون الانتساب الى عائلة النبي . وكلهم كان يحرك اليهود بحجة انالتهم املهم المنشود : الرجوع الى ارض الميعاد ، كما ادعى المتمهدون انالة المؤمنين الى ما كانوا يصبون اليه من حكم يرضي الله ونبيه . ومعظم المتمسحين كان يدعي عمل الخوارق كما ادعاها بعض المتمهدين ، او نسبها اليهم اتباعهم .

وهكذا استمر سيل ظهور المتمسحين ، والى جانبه سيل المتمهدين . ويذكر هاياسون (ص٥٨٦) ان آخر متمسح ذي خطر كان يعقوب فرانك (١٧٢٦ - ١٧٩١) وبعده لم تعد جمهرة اليهود تؤمن بالمتمسحين .

ونستطيع ، لولا ضيق الوقت ، ان نتبع ظهور وتطور هذه الفكرة عند الفرس ايضا . ولكننا نكتفي بالقول ان الفرس قد تعلقوا بهذه الفكرة وآمنوا بها ، وشهد العصر العباسي ظهور بعض هؤلاء المتمسحين الفرس

الذين اتخذت حركاتهم طابعا شعوبيا . اذ انهم كانوا يمنون اتباعهم - الذين كانوا فارسيين متعصبين لقوميتهم - برجوع الحكم الى الفرس .[1]

وهكذا ترعرع الاسلام وتطور في بيئات لم تكن فكرة " المخلص " فيها غريبة . لم تكن هذه الفكرة تخص دينا دون آخر ، ولا قوما دون آخر . كانت تراثا ورثته العصور الوسيطة عن القديمة ، وهكذا سار المهتدون المسلمون جنبا الى جنب مع المتهدين من مختلف الاديان والاقوام . وصار الأدب الاجتماعي المثالي (الاحاديث المهدوية - بلغة الاسلام) جنبا الى جنب مع آداب الامم الاخرى التي كانت من ذات الطابع . وقد لاحظ هذه المسألة نشوان بن سعيد الحميري (المتوفى سنة ٥٧٣ = ١١٧٧) ، فقال هذه العبارة الدقيقة الواعية : " المنصور لقب لقائم منتظر عند كثير من الناس ، وهو المهدي الذي تدعي كل فرقة منهم انه منها : قالت اليهود هو المسيح الدعوى يعيد الدين الاسرائيلي . وقالت النصارى هو المسيح بن مريم . وقالت الصابئون هو من ولد هرمس[×] الهرامس اليوناني . وقالت المجوس هو من ولد بهرام جور الفارسي يعيد الدين الابيض يحنون دينهم . وقالت وللشيعة فيه اقوال كثيرة ، كل فرقة تقول هو امامها ... وقالت حمير في سيرها المأخوذة عن علمائها هو رجل حميري سبأي الابوين يعيد الملك الى حمير بالعدل -[2]

---

(١) راجع البيروني ، الاثار الباقية ، ص ٢١٠ - ٢١٤ .

(٢) شمس العلوم ، ص ٣ ١٠ .

(×) راجع البيروني ، الاثار الباقية ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، ٣٢٠ .

((القســــــم الـــــــثالث))

----

*

((الفصل الاول))

الشيعة عموما والمهدية

والآن ، بعد ان تتبعنا ظهور هذه الفكرة منذ نشأتها حتى دخولها في صميم الفكر الاسلامي ، علينا ان نتابع سيرها وتطورها عند مختلف الفرق الاسلامية . وقبل ان نأتي على ذلك نرى من الضروري ان نشير الى تبدل جوهري اعترى هذه الفكرة في الاوساط الاسلامية ، اما هذا التبدل الذي اقتضته الظروف فهو المزج بين شخصية المهدي المنتظر وفكرة الناس عن شخصية النبي .

ذكرنا فيما سبق ان هذه الفكرة دخلت الاسلام عن طريق المعارضة السياسية التي اثارتها الظروف ضد بني امية ، وقلنا ان نوعين من المعارضة : الاتقياء عموما وشيعة علي ، كان لهما اليد الطولى في دخول هذه الفكرة في الاسلام .

والآن سنبدأ بحثنا في تتبع تطور هذه الفكرة في الاوساط الشيعية ، بدراسة الاشخاص والحركات التي قامت باسم المهدية . وسنظهر اثر ذلك في انقسام الشيعة الى فرقها الثلاثة الرئيسية :

الزيدية :-

هي الفرقة التي التفت حول شخصية زيد بن علي زين العابدين . ولقد كان زيد هذا اول من ثار على الحكم الاموي بعد الحسين بن علي . وكان ذلك

../..

في خلافة هشام بن عبد الملك ، اي في وقت كانت فيه قوة الامويين في اوج عظمتها . ويصف ابن الطقطقي زيداً هذا بأنه كان " من عظماء اهل البيت علما وزهدا وورعا وشجاعة ودينا وكرما وكان دائما يحدث نفسه بالخلافة ويرى انه اهل لذلك وما زال هذا المعنى يتردد في نفسه ويظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه حتى كانت ايام هشام بن عبد الملك .[1]

وفي سنة ١٢١ او ١٢٢ ، قدم زيد هذا الى الكوفة ، ولما هم بالرجوع الى المدينة تشبث به اهل الكوفة ومنعوه من ذلك ، بل اصروا على مبايعته بالامامة . وبعد الحاح شديد قَبِل بيعتهم ، واعلن انه المهدى ، واخذ يعد العدة للقاء الامويين . ولما بدأت الحرب بينه وبين عامل بني امية ، طلب منه شيعته ان يبدى رأيه في ابي بكر وعمر . فلما ابدى لهم حسن رأيه فيهما ، تخلى عنه معظمهم ، فسماهم رافضة .[2] وهكذا خذله انصاره ، ولم يبق معه الا اناس قليلون ، فحاربه الامويون وقتلوه ، ولحق اتباعه جثته . غير ان الامويين تمكنوا من العثور عليها ، فأخذوها وصلبوها في محل يسمى الكناسة . ويترجم ابن الطقطقي لما حل بزيد فيقول : " رحمه الله وسلم عليه ولعن ظالميه وغاصبيه حقه فلقد مضى شهيدا مظلوما ".[3]

---

(١) الفخرى ، ص ١٥٦ .

(٢) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥ . ابن خلدون ، المقدمة ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٣) الفخرى ، ص ١٥٨ .

ولم تكن الاوساط الشيعية بأقل من غيرها شماتة بـزيد هذا ، فزعموا انه قبل ان يخرج طالبا بحقه في الامامة استشار اخاه ابا جعفر (محمد بن علي بن الحسين بن علي) في ذلك ، ولكنه اشار عليه بعدم الخروج لانه ليس الامام ، وتنبأ له بما سيحدث فيما بعد من قتله وصلبه بالكناسة [1] .

هذا واتخذ الاموبون وانصارهم من مهدية زيد موضوع هزء وسخرية ، واعجب شاعرهم من دهشته البالغة من ان يرى (مهديا) يصلب على الجذع ،

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم ار مهديا على الجذع يصلب [2]

والظاهر ان الامويين تعمدوا نبش قبر هذا المهدى ثم صلبه ميتا حتى يمنعوا اتباعه من عدم الاعتراف بموته والقول بانتظاره . وهم ، وان افلحوا في ذلك لم يفلحوا في منع تكتل مَنْ تكتل من اتباعه حول ذكراه . وهكذا تكونت فرقة الزيدية . تلك الفرقة التي استمدت اعتقادها في الامامة من شخصية زيد وعمله ، لذلك اشترطوا في الامام بالدرجة الاولى الخروج لنيل الامامة [3] . وبقي هؤلاء الزيديون مصدر قلق للدولة الحاكمة يرون الخروج مع كل من خرج [4] . غير ان هذه الفرقة لم تساير بقية الشيعة في غلوها ، بل بقيت اقرب فرق الشيعة الى اهل السنة " وهي

---

(١) الكليني ، اصول الكافي ، ص ١٨٩ - ١٩٠ . المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(٢) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٧ - ١٩٨ . (٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٢٦٩ ، النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ١٥ .

ما زالت دائبة على تقاليد التشيع السياسي العربي ، ولا تختلف عن [illegible] السنة في المذهب الا قليلا ". (١)

اما بخصوص اعتقاد هذه الفرقة بفكرة المهدية ، فهي لا يختلفون في ذلك عن اهل السنة ؛ اي انهم لم يعتقدوا - كما فعل باقي الشيعة - بمهدي مختفي او بامام مختفي سيظهر .

العباسيون :-

هنا سندرس الحركة العباسية على انها فرع من التشيع . مظهرين الدور البارز الذي لعبه هؤلاء في استغلال الشيعة وافكارهم - خصوصا فكرة المهدية - في سبيل وصولهم الى كرسي الحكم . من المؤكد جدا انه لم يكن باستطاعة بني العباس ان يتربعوا على كرسي الخلافة لولا تلك المساعدة القيمة التي قدمتها لهم الدعاية الشيعية السرية التي كانت ابدا تعمل على تقويض العرش الاموي . (٢) ويؤكد فان فلوتن ان استغلال سلاح المهدية كان احد عناصر ثلاثة هي سر انتصار العباسيين . اما العنصران الآخران فهما (٢) ه الكراهية المتأصلة التي كان يكنها اهل البلاد المغلوبة للفاتحين العرب ، (٣) - الشيعة .

---

(١) برنارد لويس ، اصول الاسماعيلية ، ص ١٩٤ .

(٢) السيادة العربية ، ص ٢ . راجع ايضا ص ١٢١ - ١٢٦ .

عرف العباسيون الدهاة قيمة سلاح المهدية في وصولهم الى مبتغاهم ، كما عرفوا قيمة توحيد صفوف جميع معارضي الخلافة الاموية في صعيد واحد . فوضعوا لذلك احاديث مهدوية عامة جدا ، دعيت فيما بعد بأحاديث الاعلام [×] . وفي هذه الاحاديث ، التي وعد فيها ان يكون النصر لاكبر قسم ممكن من احزاب المعارضة ، لُقِّب المهدى بأنه " من اهل البيت" او انه " هاشمي " . وهكذا ضم العباسيون لصفوفهم جميع ، او على الاقل معظم ، احزاب المعارضة ، كما استطاعوا حشر انفسهم في زمرة الموعودين بظهور المهدى من بينهم . ولما كان معظم انصار العباسيين من اهل المشرق ، لذلك بَشَّرت هذه الاحاديث بالخير الذى سيعم جماعة المؤمنين عندما ينتصر جيش المشرق هذا الذى سيمهد لظهور المهدى : " عن ثوبان عن رسول الله صلعم انه قال اذا رأيتم الرايات السود من قبل خراسان فاستقبلوها مشيا على اقدامكم لان فيها خليفة الله المهدى " . [١] وروى عن النبي انه قال " يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدى " [٢] . وروا انه قال " يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب فلا تسبوا اهل الشام ولكن سبوا اشرارهم يوشك ان يرسل على اهل الشام صَيِّب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج من اهل بيتي في

---

(١) المطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٢٠ .

(×) راجع : Hurgronje, Vers. Geschriften, vol. I, p. 162 - 3.

ثلاث رايات المكثر يقول بهم خمسة عشر الفا والمقل يقول بهم اثنا عشر الفا ... ويرد الله الى المسلمين الفتهم ونعمتهم وقاصيتهم ورأيهم ." [1] هذه رواية الطبراني ، اما الحاكم فانه يضيف عليها " ثم يظهر الهاشمي فيرد الله الناس الى الفتهم : [1] ورووا عن ابن مسعود انه قال " بينما نحن عند رسول الله صلعم اذ اقبل فتية من بني هاشم فلما رآهم ذرفت عيناه وتغير لونه قال ، فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه فقال إنَّا اهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وان اهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريدا وتطريدا حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون وينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من اهل بيتي فيملأها قسطا وعدلا كما ملأوها جورا فمن ادرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج ." [2] ورووا عن ثوبان عن النبي انه قال " يُقْتَل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير الى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونهم قتلا لم يقتله قوم ثم ذكر شيئا لا احفظه قال فاذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فهو خليفة الله المهدي ." [3]

وغني عن القول ان هذه الاحاديث المهدوية

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣١٨ .
(٢) = = = ٣١٧ .
(٣) = = = ٣٢٠ .

لعبت دورا هائلا في تقويض العرش الاموي والتمهيد لبناء العرش العباسي .

ومما هو جدير بالذكر ان احاديث المهدي الهاشمي ، ذي الاعلام السود ، لم تهمل تماما بعد ان نال العباسيون وطرهم . اذ وجد لها المحدثون عملا آخر : وهكذا اصبح هذا الهاشمي واعلامه السود احد اشراط الساعة ، واخذ بذلك مكانته اللائق به بين السفياني والقحطاني والترك والحبشة والدجال ويأجوج ومأجوج والدخان ونفخ الصور ...[1][2]

العلويون والحكم العباسي :-

وبعد ان توصل العباسيون الى مبتغاهم ، تنكروا للعلويين ، وادعوا انهم الورثة الشرعيون لكرسي الخلافة بحجة ان خليفة الامام المهدي محمد بن الحنفية تنازل لهم عن حقه في الخلافة تنازلا رسميا[3]. وشعر العلويون ، بعد فوات الاوان ، بالخدعة التي خدعهم اياها العباسيون . فلم يرضخوا للامر الواقع الذي وضعه امامهم العباسيون ... وهكذا اخذوا يناوئونهم كما ناوؤا من

---

(١) المطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧٤ - ١٧٦ .
(٢) = = = = = = ١٦٢ .
(٣) النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٤٢ - ٤٣ ، ٤٦ ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٦٨ - ١٦٩ . المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ - ٣٥٨ .

قبلهم الاموييين مدعيين انهم ، مثلهم ، ليسوا خلفاء شرعيين يحق لهم ان يلوا النبي في تدبير شؤون المسلمين .
استمر الشيعة في حربهم ضد هذه الخلافة الجديدة ، متسلحين بسلاحهم المعهود : الدعاية السرية الهدامة .
ولقد برهن العباسيون انهم اكثر تقديرًا لخطر هذه الدعاية من سابقيهم الامويين ، ولا غرو في ذلك ، اذ سبق لهم وساهموا يوما ما مع هؤلاء العلويين في دعايتهم . وهم لذلك ادرى الناس بأسرار هذه الدعاية ، واخطارها .
فلم يقصروا محاربتهم للعلويين ، كما فعل الامويون ، على اسلحة الضغط والسجن والتشريد والقتل ، بل جنبا الى جنب مع ذلك استعملوا اسلحة الدعاية : سيما الدعاية الهدامة . والآن ، لنهتم بنوعي هذه الاسلحة التي استعملها العباسيون ضد العلويين ، كل على حدة .

سلاح الدعاية :-

اخذ العباسيون يزعمون انهم ، بعد انتقال الخلافة اليهم ، استردوا حقوق اهل البيت المغصوبة .
ووضعوا على لسان النبي نبوآت تدعم ذلك . فمؤسس الدولة العباسية هو المنقذ الذى وعد به النبي .
لذلك حمل لقب المهدى (1) ، غير ان لقب " السفاح " تغلب عليه . وساعد في تقوية مركز الخلافة العباسية انضمام قسم كبير من الكيسانية الى صفوف مؤازريها .

---

(1) المسعودى ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٣٨ .

فهذا السيد الحميري شاعر الكيسانية يقدم ليهنئ ابا العباس السفاح ، بل ليهنئ الهاشميين عامة بوصولهم الى مبتغاهم ، فأطنب في مدح العباسيين وخلفائهم ومضى على ذلك حتى وفاته .[1] ولقد اسرف السيد في محبة الخلافة العباسية حتى انه اخذ يبشر بأنها ستبقى ما بقيت هذه الدنيا . قال (الاغاني ج ٧ ص ٦) :

لم يتركوا رطبا ولا يابسا	تنفذ سامها قبلكم ساسة
مهبط عيسى فيكم ا يسا	ولست من ان تملكوها الى

وقال ايضا (الاغاني ، ج ٧ ، ص ١٤) :

في هذه الامة من حاكم	ليس علينا ما بقوا غيرهم
عليه عيسى منهم ناجم	حتى يَرُدُّوها الى هابط

ولسنا هنا في معرض التناقض الذى اوقع السيد نفسه فيه ، فكلامه هذا يتناقض صراحة مع آرائه الكيسانية التي ذكرناها اعلاه . ولكنه شاعر صبي ...

هذا ولم يَحْظ الخليفة العباسي الثاني لقب (المنصور) - وهو اسم آخر للمهدى سنأتي فيه بعد الى كلام كثير عنه - ولم يُحَظّ ابنه وخليفته لقب (المهدى) عن عبث . بل انه فعل ذلك عن

---

(١) الاصبهاني ، كتاب الاغاني ، ج ٧ ، ص ٦ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ - ١٧ .

قصد سياسي بارع جدا : لقد كانت الفكرة عن المنصور انه مهدى ، ولكنه ذو جبار ، بينما المهدى الحقيقي اقرب الى السهولة والرحمة . لذلك اتخذ من شخصيته مثالا حيا للمنصور ، وجعل من ابنه مثالا حيا للمهدى ، ولقد مثل المنصور في تقمصه هو وابنه هاتين الشخصيتين رواية جميلة جدا : سار المنصور في ادارة الدولة على سياسة حازمة جدا ، فأخذ من الناس الكثير من المال غصبا وغصت سجونه بالطالبيين وغيرهم . ثم اوصى ابنه ان يكون - بعد ان يليه على الخلافة - مثالا للرحمة ، كما اوصاه ان يرد الاموال الى اصحابها ، وكان الأب قد حفظها وكتب عليها اسماء اصحابها . كما اوصاه ان يرد الى المسجونين حريتهم ، بعد ان يعطيهم شيئا من المال . وابان الوالد لولده فائدة هذا العمل ، الذى سيحببه ويحببه الى رعيته . ولما مات الاب ونفذ الابن وصيته ظهر له صدق فراسته . اذ ان الناس احبوه حبا جما . ويذكر التوحيدى رد الفعل الذى سببه عمل المهدى بقوله " فانتشر له الصيت وكثر الدعاء وجمت الاصوات ، وقال الناس : هذا هو المهدى الذى ورد في الاثر ." [2]

(1) يذكر: [1]

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٧٥ - ٤٧٦ . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ١٨٧ . المسعودى ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) ابو حيان التوحيدى ، كتاب الامتاع والمؤانسة ، (نشر احمد امين واحمد الزين ، القاهرة سنة ١٩٤٢) ، ج ٢ ، ص ٣٤ .

ومما لا شك فيه ان اقوى سلاح استعمله العباسيون مع خصومهم هو سلاح الاحاديث المهدوية : تركت جانبا تلك الاحاديث العامة الهاشمية التي وعد النبي فيها بالنصر لبني هاشم او لاهل البيت ، واستعاض العباسيون عنها بأحاديث عباسية صرفة . تنبأ فيها النبي ان دولة الحق المتوخاة هي الدولة العباسية ، فرووا عن النبي هذه الحادثة : " كان رسول الله صلعم في نفر من المهاجرين والانصار وعلي بن ابي طالب عن يساره والعباس عن يمينه اذ تلاحى العباس ورجل من الانصار فاغلظ الانصاري للعباس فأخذ النبي صلعم بيد العباس وبيد علي وقال سيخرج من صلب هذا حتى يملأ الارض جورا وظلما وسيخرج من صلب هذا حتى يملأ الارض قسطا وعدلا فاذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدى ." (١) وصيغة هذا الحديث لا تبيح لنا ان نقطع بأن المهدى سيخرج من العباس ، او من علي ، (او بمعنى آخر ، ان هذا الحديث عباسي ، او علوي) ، غير ان المناسبة التي قيل فيها ، بعد ان اغلظ الانصاري للعباس ، تجعلنا نميل الى القول بأنه قيل في حق العباس ، فالظاهر انه استحق ذلك الاكرام تعويضا عن الاهانة التي لحقته . واذا كان وضع هذا الحديث لا يجعلنا نقطع في انه دعاية عباسية ، فهنالك احاديث صريحة تماما . رووا ان النبي قال " يخرج

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٢٢ .

رجل من وراء النهر يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ او يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلعم وجب على كل مؤمن نصره او قال اجابته ".(١) ونضيف الى ذلك هذا الحديث العباسي الصريح الذي ذكر فيه ثلاثة خلفاء عباسيين ؛ " قال مجاهد قال لي ابن عباس لولم اسمع انك مثل اهل البيت لما حدثتك بهذا الحديث قال فقال فانه في ستر لا اذكره لمن يكره قال فقال ابن عباس منا اهل البيت اربعة منا السفاح ومنا المنذر (ومنا المنصور) ومنا المهدي قال فقال مجاهد بين لي هؤلاء الاربعة فقال ابن عباس اما السفاح فربما قتل انصاره وعفا عن عدوه واما المنذر اراه قال فانه يعطي المال الكثير ولا يتعاظم في نفسه ويمسك القليل من حقه واما المنصور فانه يُعطى النصر على عدوه الشطر مما كان يعطى رسول الله صلعم ويرهب منه عدوه على مسيرة شهرين والمنصور يرهب منه عدوه على مسيرة شهر واما المهدى الذى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وتأمن البهائمُ السباعَ وتلقي الارض افلاذ اكبادها قال قلت وما افلاذ اكبادها قال امثال الاسطوانة من الذهب والفضة ".(٢) فهل وُضعَ هذا الحديث بعد ان حكم هؤلاء الثلاثة ، ام قبل ذلك - في عهد السفاح مثلا - ثم تلقب ابوجعفر

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٢٢ .

(٢) = = = ٣٢٠ .

بالمنصور ، ولقب ابنه بالمهدي ليكمل مستلزمات هذا الحديث ؟ واما لماذا بقي منصب (المنذر) شاغرًا فأمر لا نستطيع تفسيره .

ومهما يكن من امر فان هذه الاحاديث استغلت - مع الكثير من امثالها - ثم تداولها الناس على انها احاديث صحيحة مرفوعة الى النبي . وهكذا وجدت طريقها الى كتب الاحاديث الصحيحة ، اما على انها نبوءة للنبي حققها الله ، او انها سوف تتحقق في آخر الزمان . فهي لذلك من اشراط الساعة !

سلاح القوة :-

وجنبا الى جنب سلاح الدعاية هذا ، استعمل العباسيون ، ضد العلويين ، سلاح اخذهم بالشدة والقوة البالغتين . فمنذ عهد مبكر بطش بهم المنصور ، حمل اثني عشر وجيها من وجهائهم - بينهم اناس ينتمون الى سلسلة الائمة - من المدينة الى الكوفة حيث سجنهم في سجن ضيق غير صحي فماتوا فيه عن بكرة ابيهم (1) وبث جواسيسه " ينظرون الى من اتفقت شيعة جعفر عليه فيضربون عنقه " (2) . وبعد المنصور حكم المهدي الذي اتبع مع الطالبيين - كما ذكرنا اعلاه -

---

(1) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٠ . ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ . ابن الطقطقي ، الفخري ص ١٦٢

(2) الكليني ، اصول الكافي ، ص ١٨٥ .

سياسة ود ورحمة . ولكن بعد وفاته عادت السياسة التي انتهجها المنصور . فخليفة المهدي ، ابنه موسى الهادي ، اتبع معهم سياسة كلها الشدة والقساوة . ذلك انه " الح في طلب الطالبيين واخافهم خوفا شديدا وقطع ما كان المهدي يجريه لهم من الارزاق والاعطية وكتب الى الآفاق في طلبهم وحملهم [1] . وعلى هذه السياسة سار بقية خلفاء بني العباس ، باستثناء خليفة واحد هو المأمون الذي سنعود اليه . فهذا المتوكل (٨٤٧-٨٦١) الذي ذهب في اضطهاده الشيعة الى حد ان هدم قبر الحسين [2] لانه - كما يقول جولد تسيهر - "رأى ان الناس يجب ان لا يذكروا انه في هذه البقعة المقدسة يرقد ابن لعلي كان قد اراق دمه دفاعا عن حقوق آل البيت" [3]. كما وكان يرصد جواسيسه لتراقب الامام العلوي ابو الحسن علي بن محمد وكان يأمرهم احيانا بمداهمة بيته بقصد مصادرة ما فيه من مال وسلاح . [4] وهذا الخليفة المهتدي (٨٦٩ - ٨٧٠) الذي عاصر الامام الحادي عشر (الحسن العسكري) كان كثير الاذية والتهديد للشيعة والعلويين ، وكان يهددهم بقوله ، " والله لاجلينهم عن جديد الارض ". [5]

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ .
(٢) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٨٢ .
(٣) العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ١٧٧ .
(٤) الكليني ، اصول الكافي ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .
(٥) = = = ، = ٢٨٤ .

وعلى هذه الوتيرة سار الخلفاء العباسيون في معاملتهم لاهل البيت وشيعتهم . وقبل ان نستعرض رد الفعل الذي كانت ابدا تتركه هذه المعاملة ، علينا ان نعرج قليلا لنذكر تصرفا شاذا تصرفه الخليفة المأمون (٨١٣ - ٨٣٣) حيال اهل البيت عموما والامام العلوي الذي عاصره خصوصا . ولسنا ندري ما هو الدافع الذي جعل هذا الخليفة يميل كثيرا نحو اهل البيت . والذي يظهر ان المأمون كان ميالا الى اعادة النظر في مسائل كثيرة جرى عليها سابقوه : فردَّ مثلا الى ولد فاطمة ارض فدك [1] ، التي كانت طالبت بها ابا بكر ، ثم استمر ولدها بالمطالبة بها . ومما لا شك فيه ان اخطر تصرف تصرفه المأمون في اتباعه لسياسة " اعادة النظر " هذه هي مسألة الخلافة . ذلك التصرف الذي كان ثورة لا تقل عن الثورة التي اهتزت لها بغداد من جراء المحنة . اما قصة ذلك فهي : اراد المأمون نقل الخلافة من العباسيين الى العلويين . وكان آنذاك (٢٠١ هـ) في مرو من اعمال خراسان . فاستدعى اليه الامام الشيعي ، علي بن موسى الرضى ، وعرض عليه ان يتخلى له عن الخلافة ، غير ان هذا رفض هذا العرض . ولكنه قبل ان يكون وليًا للعهد بعده . ثم امر المأمون الناس ان يخلعوا اللباس الاسود (شعار العباسيين) ويستبدلوه بالاخضر . وما ان وصلت هذه الاخبار الى بغداد حتى اهتاج الناس عموما ، والعباسيون خصوصا ، فخلعوا المأمون وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي (٢٠٢ هـ) . وارسلوا من اغتال وزير المأمون الفضل بن سهل ظنا منهم ان له اليد الطولى في هذا التغيير . عندها خاف المأمون واخذ يتراجع عن هذه الخطة والغى ولاية العهد هذه ، وفي سنة ٢٠٤ قدم

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٧٢ .

الى بغداد حيث الغى اللون الاخضر وعاد الى السواد . بذلك هدأت الثورة .[1] اما السبب الذي دفع المأمون الى القيام بهذا العمل فأمر لا نعرفه ، ولم يعط المؤرخون الاقدمون تفسيرا وجيها لذلك ، بل قالوا انه آنس في هذا الامام صلاحا فحاول نقل الخلافة له ، لانها تحتاج رجلا صالحا . ونحن اذ نشك في صحة هذا التعليل ، نقول ربما كان الدافع هو ان عقلية هذا الرجل الفلسفية توصلت الى وضع حل عملي لمشكلة الخلافة التي شطرت المجتمع الاسلامي الى شطرين كبيرين ويذكر لنا الكليني ان الرضى هذا قبل ولاية العهد من المأمون على شروط كتب بها اليه : " على ان لا آمر ولا انهي ولا افتي ولا اقضي ولا اولي ولا اعزل ولا اغير شيئا مما هو قائم وتعفيني من ذلك كله . "[2] فلماذا اشترط هذه الشروط يا ترى ، واذا لم يشترطها ، بل كانت من اختراع الشيعة المتأخرين ، فلماذا تخيلوا شروطا كهذه ؟ طبعا ، لانها خير تعبير عن عقائدهم السلبية .

فشلت محاولة المأمون هذه ، كما فشلت المحاولة الثانية عندما توخى اصلاح ذات البين ، بين العباسيين والعلويين ، عن طريق تزويج ابنته لابن الرضى[3] . لقد استعصى الداء وانتقل التشيع - طبعا من زمن اقدم - من الدور السياسي الى الدور الديني الصرف . ولم يعد هم معظم الشيعة الوصول الى كرسي الخلافة - مع ان حربهم ضدها استمرت - وانما اصبح التشيع دينا قائما بذاته . وعندما تسلط على الخلافة العباسية البويهيون (٩٤٥ - ١٠٥٥) الذين كانوا متطرفين في تشيعهم وادعوا انهم يتحدرون

---

(١) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٠ - ٢٦٣ . المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٤٩ - ٣٥١ . الكليني ، اصول الكافي ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٤٤ - ٥٥٣ . (٢) الكليني ، اصول الكافي ، ص ٢٧٠ .

(٣) الكليني ، اصول الكافي ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

من سلالة ملوك فارس [1] ، لم يغيروا من الموقف شيئا ، رغما عن كون الشيعه تنفسوا مدة حكمهم الصعداء . وعندما اراد معز الدولة البويهي نقل الخلافة من العباسيين الى المعز لدين الله العلوي واستشار خاصته في ذلك استحسن هذه الفكرة بعضهم ورفضها البعض الآخر قائلا " فانك اليوم مع خليفة تعتقد انت واصحابك انه ليس من اهل الخلافة ولو امرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ومتى اجلست بعض العلويين خليفة كان معك من يعتقد انت واصحابك صحة خلافته فلو امرهم بقتلك لفعلوا " [2] . فتخلى عن هذه الفكرة ولم يعمل بها .

ونحن اذا استثنينا هذه الشواذ : حكم المهدي والمأمون والبويهي ، نرى ان اهل التشيع بقوا في حالة حرب دائمة مع الحاكم العباسي ، كما كانوا قبلا مع الحاكم الاموي . اشتد العباسيون في ضغطهم على العلويين ، فكان رد الفعل يظهر على شكلين مختلفين ، ولكنهما متعاونين : مقاومة ايجابية تظهر على شكل مهديين يخرجون لكي يضعوا حدا لهذا الحكم الفاسد . واخرى سلبية تظهر على شكل دعاية واسعة سرية يقوم بها الشيعة ضد الدولة العباسية .

المتمهدون العلويون في العصر العباسي :-

قلنا فيما مضى ان فكرة المهدية وجدت في الاوساط الشيعية تربة خصبة جدا ، وقلنا ان اجماع الشيعة (وهم الذين تطوروا تطورا سلبيا - الشيعة الاثنى عشرية) اتخذوا في عدائهم للخلافة موقفا بعيدا عن الايجابية . ولكن عن هذا التيار السلبي ، كانت

---

(1) ابن الاثير ، تاريخ الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٧ .

(2) = = = = = = ٣٣٩ - ٣٤٠ .

ابدا ، وفي فترات متقطعة ، تظهر اعنف الحركات الايجابية . ولم يعرض اجماع الشيعة عن اي حركة من هذه الحركات ، بل كان يسير دوما في طريقه السلبي . وكانت هذه الحركات تظهر ثم تفشل كحركات سياسية ولكنها كانت تترك آثارا بارزة : فرق شيعية جديدة . فقد اسفرت مهدية ابن الحنفية عن ظهور فرقة الكيسانية ، التي بدورها انقسمت الى عدة فرق ، كذلك اسفرت مهدية زيد عن فرقة الزيدية والتي بدورها انقسمت على نفسها الى عدة فرق ايضا . وهكذا كان الحال مع المتمهدون الذين سنسرد قصتهم فيما يلي .

محمد بن عبد الله (النفس الزكية) :-

هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (١٠٠ - ١٤٥) . ومنذ وقت مبكر ، حين كان في التاسعة عشرة من عمره ، اخذ محمد هذا يشيع بين الناس انه المهدي الذي بشر به ، ولقد ساهم ابوه في هذه الدعاية لمهدية ابنه مساهمة فعالة . وكان هذا الأب يحسد الخلفاء الامويين ثم العباسيين كما كان يحسد ائمة الشيعة ، وكان دائما يتساءل عن ضرورة كون الامامة في نسل الحسين دون اخيه الحسن [1] واستند هذا الاب في الدعاية لمهدية ابنه على حديث - ربما كان من وضعه - يقول " لو بقي من الدنيا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه مهدينا او قائمنا اسمه كاسمي واسم ابيه كاسم ابي ." غير ان هذا المهدي لم يجرؤ على الخروج في العصر الاموي رغم وفرة اتباعه سيما من اشراف بني هاشم . ولكن لما انتقل الحكم الى بني العباس ازداد حماس هذا المتمهدي ، بيد انه كان بادي الحذر والاتزان : كان يحاول الظهور ، فلما يلاحظ ان ذلك سيوقعه في مشكلة كان يعود الى الهدوء والتريث . فحاول مثلا ، الخروج في عهد ابي العباس السفاح

---

(١) الكليني ، اصول الكافي ، ص ١٩١ .

لكنه عاد فعدل عن ذلك . وفي عهد ابي جعفر المنصور قويت الدعاية لمهديته فخافه ابو جعفر وتوجه الى الحجاز بقصد القبض عليه ، ولما لم يتمكن من ذلك قبض على ابيه وكثيرين من اقاربه وسجنهم وعاملهم بقسوة لا حد لها . فلما رجع الى العراق خرج محمد هذا في المدينة وادعى علنا انه المهدي المنتظر (١٤٥ هـ) . وانتشرت دعوته في الحجاز والكوفة وخراسان . واول عمل عمله هذا المهدي في المدينة انه " عزل عنها اميرها من قبل المنصور ورتب عليها عاملا وقاضيا وكسر ابواب السجون واخرج من بها . " (الفخري ، ص ١٩٦) . وبعد محاولات كثيرة فاشلة استطاع قائد المنصور وابن اخيه عيسى ابن موسى قتل هذا المتمهدي والكثيرين من اتباعه . وبعد ذلك اصبح لزاما على الخلافة القضاء على اخيه ابراهيم (الذى بعد قتل اخيه اخذ يدعو لنفسه) حيث قوى امره في الكوفة وما جاورها واخيرا تمكن قائد الخليفة ، عيسى بن موسى ، من قتل ابراهيم هذا وتشتيت حركته في معركة (باخمرى) قرب الكوفة وبعد هذا الانتصار تلقب ابو جعفر بلقب المنصور [1] . وبعد مقتل محمد لم تعترف اقوام بموته بل قالت انه حي في جبل (العلمية) كما قالت انه لن يموت قبل ان يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا . وهكذا تكونت فرق الجارودية والمحمدية والمغيرية [2] . ويرجح برنارد لويس انه كان للفرقة

---

(١) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٤١ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٩٥ - ١٩٧ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ص ٤٣٢ ، ٤٤٤ - ٤٤٥ ، ٤٥٠ - ٤٥٦ .

(٢) النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٥٢ - ٥٥ . ابن حزم ، كتاب الفصل ، ج ٤ ص ١٧٩ . البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٣٨ ، ٤٢ ، ٢٢٩-٤٥ - ٢٣٣ .

الثالثة اثرا كبيرا في تطور الافكار الباطنية [١] . وهكذا اسفرت مهدية هذا المتهمدي عن اضافة فرق جديدة الى الفرق الاسلامية .
اما باقي الامامية فانهم لم يعترفوا بمهديته ولا بامامته بل جعلوا منه هدفا لتهكمهم وسخريتهم [٢] .

موسى بن جعفر :-

هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب . حاول هذا الخروج فعلم بذلك هارون الرشيد الذي توجه الى المدينة حالا فحج والقى عليه القبض واخذه معه الى بغداد حيث سجنه الى ان مات (١٨٣) . ويقال ان الرشيد سمه في السجن ليتخلص منه [٣] . وبعد وفاته تشكلت حول ذكراه فرقة الواقفية او الممطورة ، وهي احدى فرق الامامية فقالت " انه حي لم يمت ولا يموت حتى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا " [٤] .
والظاهر ان هذا الرجل لم يدعي المهدية انما البسها اياها اتباعه ، كما فعل بعضهم مع علي بن ابي طالب .

محمد بن القاسم :-

هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . كان محمد هذا يقطن الكوفة ويصفه المسعودى بأنه كان " من العبادة والزهد والورع في

---

(١) اصول الاسماعيلية ، ص ٩٣ - ٩٤ .
(٢) الكليني ، اصول الكافي ، ص ١٩٠ - ١٩٤ .
(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٩٩ . ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
(٤) ابن حزم ، كتاب الفصل ، ج ٤ ، ص ١٧٩ - ١٨٠ . المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٧ ، ص ١١٧ .

./..

نهاية الوصف " (١) . ولما اراد ان يدعو لنفسه توجه الى الطالقان (من اعمال خراسان) وهناك " انقاد اليه والى امامته خلق كثير من الناس " (٢) . عندها وجه المعتصم اليه عبد الرحمن بن طاهر فاعتقله وسجنه في بغداد حيث مات مسموما . وتذهب رواية ثانية الى انه هرب من السجن ليلة عيد الفطر (٢١٩) ، فطلبوه فلم يجدوه (٣) . ولسنا على يقين فيما اذا ادعا هذا الرجل المهدية ام لا ولكن بعد وفاته آمنت طائفة من الناس بمهديته وقالت " انه حي لم يمت ولا قتل ولا يموت حتى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ." (٤) ويذكر المسعودى ان فما كبيرا من الزيدية لا يزال يؤمن بمهدية محمد هذا ، حتى الوقت الذى يكتب فيه (٣٣٢ هـ) وكلهم ينتظر رجعته كمهدى ، وان اكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان (٥) .

يحيى بن عمر :-

هو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن الحسين بن علي بن ابي طالب . قدم يحيى هذا من خراسان الى (سر من راى) وهو مثقل بالديون . ولما لم يفلح في اقناع بعض امراء الخليفة المتوكل في اعطائه مالا ، غضب وتوجه الى الكوفة حيث اعلن الثورة ، وطرد حاكم المتوكل عليها ، واخذ ما في بيت المال ففرقه على اصحابه واخرج من في السجون . وهكذا قوى

---

(١) ، (٢) مروج الذهب ، ج ٧ ، ص ١١٦ .
(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٧٦ .
(٤) ابن حزم ، كتاب الفصل ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .
(٥) مروج الذهب ، ج ٧ ، ص ١١٧ .

/ ..

امره كثيرا فقاتله الخليفة وارسل من قتله وقتل حركته في معركة شاهي - مكان بين الكوفة وبغداد - سنة ٢٤٩ او ٢٥٠ . ولسنا نعلم ايضا ما اذا ادعى يحيى هذا المهدية ام لا ، ولكن ابن حزم يخبرنا ان طائفة قالت بمهديته وقالت " انه حي لم يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا " .[1]

والآن نكتفي بهذا العدد من المتمهدين ،

فمن اراد المزيد فليراجع : ابن حزم ، كتاب الفصل ، ج ٤ ، ص ١٧٩ وما بعدها . المطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٨٠ وما بعدها . النوبختي ، فرق الشيعة ، في امكنة متعددة .

---

(١) كتاب الفصل ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

الامامية (الاثنا عشرية) :-

وعلى هذه الوتيرة سار الشيعة في نضالهم ضد الخلافة العباسية ، ولم يتنفسوا الصعداء اللهم الا بعد ان فقدت الخلافة قوتها . فلقد كان قيام السامانيين الشامخين باكورة عهد جديد عند الشيعة ، خصوصا بعد فتح خراسان على يد اسماعيل (٢٩٠) . ثم استمر هذا العهد بقيام الحمدانيين الشيعة في الموصل (٣١٧) وعندما دخل احمد معز الدولة البويهي بغداد (٣٣٤) بلغت فترة الهدوء هذه اوجها . فاستراح الشيعة من ضغط الخلفاء راحة جلبت عليهم الطمأنينة والاستقرار . بيد ان هذا الهدوء الخارجي لم يغير قليلا او كثيرا من وضعية الشيعة الداخلية : فمنذ النصف الثاني للقرن الثالث تمت عملية تحجير الفرق الشيعية المختلفة - ما عدا الزيدية التي تحجرت قبل هذا التاريخ . لذلك لم تجد عصور الطمأنينة هذه فتيلا في حسم الخلاف بين الشيعة والسنة . والشيء الذي يهمنا في هذه الفترة ان علماءهم وجدوا متسعا من الوقت لتدوين عقائدهم . وهكذا ظهرت مجاميع الحديث الشيعية المسماة " الكتب الاربعة " (١) . ومن بين هذه المجاميع كتاب اصول الكافي ، لمؤلفه ابي جعفر محمد يعقوب الكليني (المتوفى سنة ٣٢٨ ، ٣٢٩) ، والذي سنعتمد عليه بالدرجة الاولى في سرد تطور فكرة المهدية عند الشيعة الامامية ، لاقدميته ولمنزلته الكبرى عند الشيعة وغيرهم .

ولسهولة البحث نقسم تطور هذه الفكرة عند الامامية الى طورين رئيسيين : (١) الطور الاول ، منذ منشأ الفكرة

---

(١) ملخصة مع التصرف من : R. Strothmann, Encyc. of Islam, vol. IV, art. SHIA, p. 353 - 4

حتى وفاة الامام الحادى عشر .(٢) الطور الثاني ، بعد وفاة الامام الحادى عشر .

الطور الاول :-

شرحنا فيما مضى دخول هذه الفكرة الفكر الشيعي ؛ وبقي الشيعة ، الذين تُقدِّر لهم ان يصبحوا فيما بعد الامامية ، دون ان يكوّنوا فكرة عن شخص معين انه هو المهدى . فكان بين الفينة والاخرى يظهر هذا المتمهدى او ذاك ، فينال القليل او الكثير من الاتباع دون ان ينال اجماع الشيعة الذى سار في طريقه التي انتهجها في تقدير الائمة من نسل علي .

وطالما بقي بين ظهراني الشيعة ائمة يرتاحون اليهم ، بقيت فكرة المهدى معقد رجائهم لا اكثر ولا اقل دون ان يصيروها كبير اهتمام بجانب اهتمامهم الكلي بالائمة ، ولما كانت الامامة هي مفتاح المهدية وجب علينا ان ندرس بالتفصيل رأى الشيعة فيها :

لم تعترف الشيعة مطلقا بالخلافة كما فهمها عامة المسلمين من انها منصب يصار اليه بالانتخاب ، بل انهم يسخرون من هذا الانتخاب اشد السخرية . عن الامام الرضى قال : " جهل القوم وخدعوا عن آرائهم ان الله عز وجل لم يقبض نبيه حتى اكمل له الدين وانزل عليه القرآن فيه تبيان كل شئ ... وانزل في حجة الوداع ... اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا (المائدة ٥) ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لامته معالم دينهم واوضح لهم سبيلهم ... واقام لهم عليا عم علما واماما ... هل تعرفون قدر الامامة ومحلها من الامة فيجوز فيها اختيارهم ان الامامة اجل قدرا واعظم شأنا واعلى مكانا

../.

واضح جانبا وابعد غورا من (ان) يبلغها الناس بعقول لهم او ينالوها بآرائهم او يقيموا اماما باختيارهم ... ان الامامة خص الله عز وجل بها ابراهيم الخليل ... ثم اكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورّثها الله عز وجل النبي ... فقلدها على الله عليه وآله عليا ع بأمر الله عز وجل على رسم ما فرض الله فصارت في ذريته ... فهي في ولد علي ع خاصة الى يوم القيامة اذ لا نبي بعد محمد فمن اين يختار هؤلاء الجهال ان الامامة هي منزلة الانبياء وارث الاوصياء ان الامامة خلافة الله وخلافة الرسول ومقام امير المؤمنين وميراث الحسن والحسين ." (١) وهكذا اصطلح الشيعة على تسمية صاحب هذا المنصب بالامام بدلا عن اسم الخليفة . " لان هذا اللقب يدل في معناه على مقام ديني ومكانة دينية ملحوظة لا توجد في غيره من الالقاب " (٢) . وعلي بن ابي طالب ، الامام الاول ، لم يتزوج فاطمة الزهراء عفوا ، بل امر الله النبي بذلك عن طريق ملك قال له " بعثني الله عز وجل ان ازوج النور من النور " (٣) . ووالد علي لم يمت كافرا ، كما هو معروف ، بل انه " مثل اصحاب الكهف اسروا الايمان واظهروا الشرك فآتاهم الله اجرهم مرتين " (٤) . وهذا يفسر انشعاب النور الالهي الى شعبتين احداهما وصلت علي عن ابيه عن جده ، والاخرى وصلت النبي عن ابيه عن جده ، فكان زواج علي من فاطمة زواج النور من النور .

---

(١) الكليني ، اصول الكافي ، ص ١٢ - ١٨ .

(٢) جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ١٧٥ .

(٣) الكليني ، اصول الكافي ، ص ٢٥١ .

(٤) = = = = ٢٤٤ .

/..

ولقد اشار القرآن مرارا الى ولاية علي ، ونص عليها النبي [١] . ولكن النبي بادئ الامر لم يبلغ الناس ذلك ، مخافة ان يرتدوا عن دينهم . غير ان الله عنفه قائلا " يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس " (المائدة ، ٧١) عندها صدع النبي وبلغ الناس ولاية علي لاول مرة يوم غدير خم وكانت الولاية آخر الفرائض ، اذ بعد هذا التبليغ نزلت آية الختام " اليوم اكملت لكم دينكم ... " [٢] . وهكذا اوصى النبي بولاية علي بأن قال ثلاث مرات " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " [٣] . وقال النبي " علي سيد المؤمنين وقال علي عمود الدين وقال هذا هو الذي يضرب الناس بالسيف على الحق بعدي وقال الحق مع علي اينما مال وقال اني تارك فيكم امرين ان اخذتم بهما لن تضلوا كتاب الله عز وجل واهل بيتي عترتي ." [٤]

ولما فسر لنا ائمة الشيعة القرآن حسب التفسير الذي فسره محمد لعلي اذا بجميع آيات المدح فيه تخص عليا والائمة من بعده . وما علينا الا ان نضيف الى الآية كلمة (علي) او (ولاية علي) او (آل محمد) حتى يستقيم المعنى حسبما اراده الله . " عن ابي جعفر ... قال ونزل جبرئيل بهذه الآية هكذا وقل الحق من ربكم في ولاية علي فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين آل محمد نارا " (الكهف ، ٢٨) " [٥] ... " عن ابي جعفر قال افكلما جاءكم محمد بما لا تهوى انفسكم بموالاة علي فاستكبرتم ففريقا من آل محمد كذبتم وفريقا

---

(١) الكليني ، اصول الكافي ، ص ١٤٧ - ١٥١ .
(٢) = = = = ١٤٦ .
(٣) ، (٤) = = = ١٤٩ .
(٥) = = = ٢٦١ .

تقتلون . (البقرة ٨١) " ... عن ابي جعفر في قول الله عز وجل بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته قال اذا جحد امامة امير المؤمنين فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون (البقرة ٧٥) "[1] . وعلي هو الصراط المستقيم الذي ينجو به المؤمنين[2] . وولايته لم تأت من الارض انما جاءت من السماء مشافهة[3][4] .

ولما اظهر هذا التفسير للقرآن انه تكلم عن علي وحقوقه ، كذلك اظهر انه تكلم عن مغتصبي حقه الثلاثة : ابو بكر وعمر وعثمان ، او كما يسمونهم ، فلان وفلان وفلان . او الاول والثاني والثالث[5] : " عن ابي جعفر في قول الله لتركبن طبقا عن طبق (الانشقاق ١٩) قال يا زرارة اولم تركب هذه الامة بعد نبيها طبقا عن طبق في امر فلان وفلان وفلان . "[6] وفي تفسير الآية وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان (الحجرات ٧) يقول ابو عبد الله " يعني الاول والثاني والثالث "[7] وهم يتقربون الى الله بلعن هؤلاء الثلاثة[8] .

خلف علي على منصب الامامة الائمة الذين اوصى الله ونبيه عليهم ، وكل منهم كان يعين خليفة حسب هذا التعيين السماوي . ولم يقل هؤلاء الائمة في المنزلة عن علي نفسه . فمنزلتهم عالية مقدسة ، كتب احدهم الى الرضي يسأله عن الفرق بين

---

(١) الكليني ، اصول الكافي ، ص ٢٢٥ .
(٢) = = = = ٢٣١ .
(٣) = = = = ٢٢٥ .
(٤) = = = = ٢٤٠ .
(٥) = = = = ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٧٥ ، ٢٢٦ ، ٥٤٢ .
(٦) = = = = ٢٢٤ .
(٧) = = = = ٢٣٠ .
(٨) = = = = ٥٤٢ .

الرسول والنبي والامام فكتب له " الفرق بين الرسول والنبي والامام ان الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل ثم فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع الامام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص ".[1] واوصى الله عليهم وامر بطاعتهم في القرآن .[2] وانبأ جبرئيل النبي باسمائهم واسماء آبائهم[3] . والامام هو حجة الله على خلقه[4] . والارض لا تخلو من حجة[5] ، ولولم يبق في الارض الا رجلان لكان احدهما الحجة[6] ، وآخر من يموت هو الامام لئلا يحتج احد على الله انه تركه بغير حجة[7] ، وقال ابو جعفر " انما يعرف الله عز وجل ولا يعرف الامام منا اهل البيت فانما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالا "[8] وقال ايضا " كل من دان الله عز وجل بعبادة يجهد بها نفسه ولا امام له من الله نسعيه غير مقبول وهو ضال متحير والله شانئ لاعماله ... من اصبح من هذه الامة لا امام له من الله عز وجل ظاهر عادل اصبح ضالا تائها وان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق" .[9] وقال " حبنا ايمان وبغضنا كفر " (١٠.) وقال الرضى " الناس عبيد لنا في الطاعة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٨٥ .
(٢) = = ٢ ، ٥ ٤١ .
(٣) = = ٤ ١ .
(٤) = = ٨٠ .
(٥) = = ٨٥-٨٦ .
(٦) = = ٨٦-٨٧ .
(٧) = = ٨٧ .
(٨) = = ٨٧ .
(٩) = = ٨٨ .
(١٠) = = ٩١ .

/ ..

صوالي لسنا في الدين فليبلغ الشاهد الغائب .[1] والائمة هم شهداء الله على خلقه[2] وهم الهداة[3] . وهم ولاة امر الله وخزنة علمه[4] . وخلفاء الله في ارضه وابوابه التي يؤتى منها[5] . وهم نور الله[6] . واركان الارض[7] . والعلامات والآيات التي ذكرها الله في كتابه[8] . وهم اهل الذكر الذين يشير اليهم القرآن صراحا[9] . وهم الذين وصفهم الله في كتابه بالعلم[10] . والنعم التي ذكرها الله في القرآن[11] . وهم ورثة العلم يرثه بعضهم بعضا[12] . وعندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله ، وهم يعرفونها على اختلاف السنتها[13] . ولم يجمع القرآن كله الا هم[14] . وعندهم اسم الله الاعظم[15] . وعندهم الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة[16] . وهم اذا شاءوا ان يعلموا علموا[17] . ويعلمون متى يموتون ولا يموتون الا باختيارهم[18] . ويعلمون ما كان وما سيكون ولا يخفى عليهم شيء[19] . والامام يرى من خلفه كما يرى من امامه[20] . والارض كلها ملك لهم[21] . ويضيفون الى اركان الاسلام الخمسة ركنا سادسا وهو ولاية الامام[22] . والتعدى من طريق التزوير على منصب الامامة ذنب لا يعدله ذنب ، قال ابو عبد الله " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : من ادعى امامة من

---

(1) المصدر نفسه ، ص ٩١ .
(2) = = = ٩٢ - ٩٣ .
(3) = = = ٩٣ - ٩٤ .
(4) = = = ٩٤ .
(5) = = = ٩٤ .
(6) = = = ٩٥ - ٩٦ .
(7) = = = ٩٦ - ٩٧ .
(8) = = = ١٠٢ - ١٠٣ .
(9) = = = ١٠٤ - ١٠٥ .
(10) = = = ١٠٥ .
(11) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .
(12) = = = ١٠٩ .
(13) = = = ١١٢ .
(14) = = = ١١٣ .
(15) = = = ١١٣ .
(16) = = = ١١٨ .
(17) = = = ١٢٨ .
(18) = = = ١٢٨ - ١٢٩ .
(19) = = = ١٣٠ .
(20) = = = ٢٠٩ .
(21) = = = ٢٢٠ .
(22) = = = ٢١٤ - ٢١٧ .

الله ليست له ومن جحد اماما من الله ومن زعم ان لهما في الاسلام نصيب ." [(١)] وقال ايضا " مَنْ اشرك مع امام امامته من عند الله مَنْ ليست امامته من الله كان مشركا بالله ." [(٢)] وختاما نورد هذا الحديث : " ان الارض لا تخلو من حجة الا اذا كان قبل القيامة بأربعين يوما فاذا كان ذلك رُفِعَت الحجة واغلق باب التوبة فلم يكن ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا فاولئك اشرار من خلق الله عز وجل وهم الذين تقوم عليهم القيامة ." [(٣)]

وعلى هذا المنوال اخذ الشيعة يضيفون الى المتهم الوان القداسة الدينية . وهذه نتيجة طبيعية لفشلهم وفشل مرشحيهم في الوصول الى كرسي الحكم الدنيوي .

لم يحمل المؤمنون حسبما اموهم ربهم ، الم يوصهم بالاستقامة على ولاية علي والاوصياء من ولده بقوله : " وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا (الجن ، ١٦) ". [(٤)] وبذلك انتقل الامر الى غيرهم ، وخسر ذوو الحق حقهم ، بيد ان الله وعد اهل البيت برجوع الامر فيهم ، فان لهم دولة اذا شاء الله جاءهم بها [(٥)] . والائمة اذا ظهر امرهم حكموا بحكم داود ، واذا لم يكفي هذا نزل عليهم بما ينقصهم روح القدس[(٦)] . ومما لا شك فيه ان الامر لن يعود الى ابي بكر وعمر ولا الى بني امية ، ولا الى ولد طلحة والزبير وذلك لانهم " نبذوا القرآن وابطلوا السنن وعطلوا الاحكام" [(٧)] . هذا وسيرجع الشهيد الحسين بن علي وسيخرج لمحاربة المغتصبين في حسب

---

(١) المصدر نفسه ، ص١٩٩ .
(٢) = = ١٩٩ .
(٣) = = ١٧١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠١ .
(٥) = = ٣١٧ .
(٧) = = ٥٩١ .
(٦) = = ٣١٤ .

تناصره فيها الملائكة [(١)] ، بيد ان هذه الاماني كلها ، التي ترجع الى عهود مبكرة تلاشت وحل محلها الامل بظهور المهدي فمسألة الامل برجعة الحسين وانتظار دولة اهل البيت ، تلك الاماني السياسية التي لعبت دورا مهما في اوقاتها ، اعتراها النسيان وحلت محلها الاماني المهدية التي اخذت تحمل عطها في صمت وهدوء .

اطلق الشيعة على هذا المهدي اسماء كثيرة هي ركام تسميات عديدة تاريخية تدور حول شخص هذا المنقذ . فالى جانب تسميته باسمه العام ، المهدي ، سموه (صاحب هذا الامر) ، او (الصاحب) ، و (صاحب السيف) و (القائم) او (قائما) و (بقية الله) ... هذا وتغلبت تسميته باسم القائم على غيرها فاصبحت هي السائدة . والظاهر انه كان لهذه التسمية اصلا عمليا سياسيا ، فاطلقت اولا على الائمة ثم انفرد بها المهدي . ومن المحتمل جدا انها اخذت في الاصل من القرآن (آل عمران ١٦٠ ، الرعد ٣٣٥) [(٢)] .

تعلق الشيعة بأملهم تعلقا شديدا قلما من شأن هذا المهدي وانتظاره ، ورغما عن ذلك بقيت هذه الاماني المهدية امورا اساسية عندهم . بل ان الشيعي الحقيقي كان يتقرب الى الله بأن يدعو لامامه قائلا " واجعله القائم بأمرك والمنتصر لدينك واره ما يحب وما تقر به عينه في نفسه وذريته وفي اهله وماله وفي شيعته وفي عدوه وارهم منه ما يحذرون واره فيهم ما يحب وتقر به عينه واشف صدور قوم مؤمنين " [(٣)]

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) راجع: R. Strothmann, Encyc. of Islam vol.II, art. KA'IM, p. 642.

(٣) الكليني ، اصول الكافي ، ص ٥٥٨ .

ولسنا في وضع يساعد على التمييز بالضبط متى وضع هذا الحديث المهدوي او ذاك ، ولكننا نورد هذه الاحاديث دون تعليق:
قال ابو عبد الله " لا تذهب الدنيا حتى يخرج رجل مني يحكم بحكومة آل داود " (١) . وسبق للـه عند بدء الخليقة ان اخذ من الجن الحزم ميثاقا بالاقرار بالمهدي قائلا " والمهدي انتصر به لديني واظهر به دولتي وانتقم به من اعدائي واعبد به طوعا وكرها " فاعترفوا به جميعا الا آدم فانه لم يجحده ولم يعترف به ، ونزل في آدم لذلك قوله تعالى " ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما " (طه ، ١١٤) (٢) . والمهدي هو الذي سيسلم وصية الله الى النجبة من اهل النبي ، تلك الوصية التي انزلت على النبي قبل وفاته وسلمها بدوره الى علي الذي سلمها الى الحسن وستبقى متداولة بين الائمة حتى يسلمها الامام الاخير الى المهدي " (٣) وسيبقى الناس يقرأون القرآن حسب قراءتهم الناقصة ، " فاذا قام القائم قرأ كتاب الله عز وجل على حده واخرج المصحف الذي كتبه علي " ، وهذه القراءة ، طبعا ، تختلف عن تلك التي يعرفها الناس . (٤) وادراك القائم مثوبة يثاب عليها كل من يقوم ببعض الامور الدينية كقراءة المسبحات كلها قبل النوم (٥) . وكمعرفة الامام ، " من عرف امامه ثم مات قبل ان يقوم صاحب هذا الامر كان بمنزلة من كان قاعدا في عسكره لا بل بمنزلة من قعد تحت لوائه " (٦) . او كمن هو مع القائم في فسطاطه (٧) او كمن كان في فسطاط المنتظر (٨) . ومن مات منتظرا لامر آل البيت كمن مات في " وسط

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .
(٢) = = = ٣١ .
(٣) = = = ١٤٠ - ١٤١ .
(٤) = = = ٦٠٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٠١ .
(٦) (٧) = = = ١٩٨ .
(٨) = = = ١٩٩ .

فسطاط المهدى وعسكره "[١] . وهو الذى سيظهر ويحوى الارض كلها بالسيف كما حواها رسول الله[٢] . ومن هذه الاحاديث الاخيرة نلاحظ ما للمهدى من صفة عسكرية محضة . وهذا كان نتيجة طبيعية لما كان يتأمله اولئك الذين يعلقون آمالهم على ظهوره . الم ينهزموا في معارك متعددة امام قوات الخلافة ؟ الم يقتل ابن علي (الحسين) في احدى هذه المعارك ؟ ولعل كانت هذه الاحاديث استجابة ليوم الانتقام من الذين تغلبوا على آل البيت وناصريهم . لذلك صَوَّرت هذه الاحاديث هذا المهدى بصورة ذات عسكرية يقهر خصوم اهل البيت . عن ابي عبد الله قال " لما كان من امر الحسين ما كان ضجت الملائكة الى الله بالبكاء وقالت يفعل هذا بالحسين صفيك وابن نبيك (!) قال فأقام الله لهم ظل القائم وقال فبهذا انتقم لهذا "[٣] . والظاهر ان الكليني لم يلاحظ ان هذا الحديث يتعارض صراحة مع حديث آخر ذكرناه اعلاه (ص ١١١) ذكر فيه ان الحسين نفسه هو الذى سينتقم لقتله . فهل هما نفس الشخصية يا ترى ؟

هذا وفسر القرآن بهذا المهدى وظهوره في آيات كثيرة[٤] : سأل احدهم ابا عبد الله عن تفسير بعض آى القرآن فأجابه : " اما قوله حتى اذا رأوا ما يوعدون فهو خروج القائم وهو الساعة فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدى قائمه فذلك قوله من هو شر مكانا يعني عند القائم واضعف جندا قلت ويزيد الله الذين اهتدوا هدى قال يزيدهم ذلك اليوم هدى على هدى باتباعهم القائم حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه (ميم ٢٧٥ - ٧٨) "[٥] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٩٨ .
(٢) = = = ٢٢٠ .
(٣) = = = ٢٥٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ .
(٥) = = = ٢٣٣ .

مما تقدم نرى بوضوح ان هذا المهدي من اهل البيت ، وعلاقته معهم قوية جداً . ولا غرابة في ذلك ففكرة المهدي ، كما فهمها هؤلاء ، ما هي الا انعكاس لما كان يجيش في نفوسهم من الآم الهزيمة والفشل في كلا الميدانين العسكري والسياسي . ولقد شعر الشيعة بالغة لا حد لها نحو هذا المهدي . اذ انه سيظهر لابساً ثياب علي[1] وحاملاً معه صحيفة تريد لفاطمة[2] ...

وهكذا بقيت جمهرة الشيعة تنتظر هذا الحاكم الالهي الذي سيعيد اليهم دولتهم المسلوبة وحقهم المغتصب . ذلك الحاكم الذي عرف فضله حتى رهبان نصارى نجران ، وعرفوا ان الاحرف الاربعة المقدسة المعلقة في الهواء ستنزل عليهم عليه ويفسرها للناس ، وانه سينزل عليه حتى ما لم ينزل على الصديقين والرسل والمهتدين[3] . ذلك الحاكم ذي الباع الطويل في القداسة والصفات الالهية ، والذي سيسلم عليه الناس بقولهم ، " يا بقية الله "[4] . وكان الشيعة على استعداد لان يقوا مطمئنين الى وجود ائمتهم يضفون اليهم القداسة تلو الاخرى ، والكرامة بعد الاخرى ، ولان يحلموا بأن يصبح يوماً احد ائمتهم القائم او المهدي ، غير ان حدثاً هاماً حدث لهم ووضع حداً لهذه الحالة والحق بجمهرة الشيعة بمن سبقهم ، وذلك بجعله لهم مهدياً معيناً ينتظرون عودته .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٢ .
(٢) = = = ٢٥١ .
(٣) = = = ٢٦٤ - ٢٦٦ .
(٤) = = = ٢٣٢ .

الطـور الثاني : -

في سنة (٢٦٠) توفي الامام الشيعي الحادي عشر الحسن العسكري ، في ظروف غامضة جدا ، وفي وقت كان فيه الشيعة يئنون تحت ضائقة شديدة لسطوة الحكام عليهم ولاختلافات عنيفة داخلية .(١) ومما زاد موقفهم ارتباكا اختلافهم عقب وفاة الحسن هذا على امر هام جدا بالنسبة اليهم : اذ ان البعض ذهب الى انه مات دون ان يترك عقبا .(٢) بينما ذهب البعض الاخر الى انه خلف ولدا . فكانت النتيجة لذلك - كما يذكر النوبختي(٣) - انقسام اتباع الحسن العسكري الى اربعة عشر فرقة(١). قالت بعضها انه المهدي المنتظر واعتقدت برجعته(٢) وبعضها لم يؤمن انه ترك عقبا وبعض هذه ذهب حتى الى رفض امامته ، وذلك لانه لم يعقب .(٣) وقال البعض - ومن بينهم الشيعة الامامية - انه مات وترك ولدا اسمه محمد ، الذي اختفي وهو المهدي المنتظر . وعلى مر الايام تغلبت هذه النظرية الاخيرة على سواها ، فكانت النتيجة فرقة الاثنا عشرية . والآن لنتابع قصة هذا المهدي المنتظر حسبما يرويها لنا الكليني : ولد للحسن في سامرا ولد (٢٥٥ او ٢٥٦) ، اما اسم هذا الولد فهو (م ح م د) ولقبه (الصاحب) . ولما كان الناس يَشُكُّون في ذلك كان ابوه يريه لهم بين الفينة والاخرى . ثم اختفى هذا الغلام عن الانظار . والرواة يتخبطون في ذكر سنه عند هذه الغيبة ، فمن قائل ان عمره كان اذ ذاك سنتين وقائل اربعة عشر وقائل احدى وعشرين .(٤)

حتى ان اسم هذا الامام يجب ان يحاط بالكتمان الشديد والحيطة ، ويجب ان لا يلفظ بل يرمز له بالاحرف (م ح م د) .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ . (٣) فرق الشيعة ، ص ٧٩ - ٨٤ .

(٢) = = = ١٧١ - ١٧٢ ، ٢٨٦ . (٤) الكليني ، اصول الكافي ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

يطلب شيعي من آخر رأى الامام الثاني عشر ان يخبره عن اسمه فيجيبه " محرم عليكم ان تسألوا عن ذلك " [١] ويعقد الكليني بابا كاملا في النهي عن الاسم [٢] . يورد فيه عن ابي عبد الله حديثا يقول فيه " صاحب هذا الامر لا يسميه باسمه الا كافر " [٣] .

ولقد خبر جد هذا الامام من قبل متنبأ بما سيحدث له " انكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه فقلت فكيف نذكره فقال فقولوا الحجة من آل محمد " [٣] .

وكما نحن في شك من امر السن التي اختفى بها ، فكذلك لا نعرف عن حياته الا مسائل قليلة : رآه احدهم عند الحجر الاسود ولاه ورآه آخر (" حين ايفع " . ويذهب الكليني الى انه كان يسير بين الناس دون ان يعرفوه كما لم يعرف اخوة يوسف اخاهم حتى قال لهم انا يوسف [٤] وهنالك من " رآه خرج من الدار قبل الحادث بعشرة ايام وهو يقول اللهم انك تعلم انها من احب البقاع لولا الطرد " فما هو هذا الحادث يا ترى ومن الذي طرده والى اين؟ فالكليني لا يخبرنا شيئا . وهذا

ونحن نستطيع ان نستخلص مما تقدم ان والد هذا الامام اما ان يكون قد مات بلا عقب ، او ان يكون عقب هذا الغلام فحدثت له حادثة اودت بحياته . وكلا هذين الاحتمالين كارثة على الشيعة الذين يعتقدون ان الارض لا تخلوا من حجة او امام . فما هي خلت ! فأوقعت هذه الحالة الشيعة في مأزق حرج . واورد لنا الكليني حديثا وضع على لسان ابي عبد الله يفسر هذه الحالة . عن احدهم " قال لي ابو عبد الله كيف انت اذا وقعت البطشة بين المسجدين تأرز

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧١ .
(٢) = = = ١٧٣ .
(٣) = = = ١٧٣ .
(٤) المصدر نفسه ص ١٧٢ .

المسلم كما يأز الحية في جحرها واختلفت الشيعة وسمى بعضهم بعضا كذابين وتفل بعضهم في وجه بعض قلت جعلت فداك ما عند ذلك من خير قال لي الخير كله عند ذلك ثلاثا "(١). والخير الذي يشير اليه هذا الحديث هو ان الشيعة قد عرفوا فالتهم المقصودة ، لقد تعرفوا على شخصية المهدي .والواقع ان الشيعة تخلصوا من هذه الازمة الشديدة الداخلية التي عانوها . مات امام دون ان يعقب ، فانقطعت بذلك الحجة ، وهذا يخالف تعاليمهم اشد المخالفة ، فما المخرج ؟ المهدي ! فاعلنوا ان الحسن ترك ولدا ولكنه ذهب في الغيبة على ان يعود ، وهو المهدي المنتظر . ثم استجاب القرآن ، كعادته ،لتفسير هذا اللغز ، واذا الآيات " قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بما معين (الملك ، ٣٠) " و " فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس (التكوير ، ١٥-١٦)" و " فاذا نقر في الناقور (المدثر ، ٨) " وغيرها ،قيلت في حق هذا الامام المختفي او (الغائب) كما يسمونه (٢).

وكما انبرى القرآن لتفسير هذا اللغز ، كذلك لم يتخلف الحديث عن خوض هذه المعركة ، قال ابو عبد الله " اقرب ما يكون العباد من الله جل ذكره وارضى ما يكون عليهم اذا افتقدوا حجة الله جل وعز ولم يظهر لهم ولم يعلموا مكانه وهم في ذلك يعلمون انه لم تبطل حجة الله جل ذكره ولا ميثاقه فعندها فتوقعوا الفرج صباحا ومساء "(٣). و " قال موسى بن جعفر اذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في اديانكم لا يزيلكم عنها احد يا بني انه لا بد لصاحب هذا الامر من غيبة حتى يرجع عن هذا الامر من كان يقول به انما هي محنة من الله عز وجل امتحن بها خلقه ولو علم آباؤكم واجدادكم دينا اصح من

---

(١) المصدر نفسه ،ص ١٧٨ .
(٢) = = = ١٧٧ - ١٧٩ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٧٣ .

هذا لاتبحوه فقلت يا سيدي من الخامس من ولد السابع فقال يا بني عقولكم تصغر عن هذا واحلامكم تضيق عن حمله ولكن ان تعيشوا سوف تدركونه "[1] وقال ابو عبد الله " يفقد الناس امامهم يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه "[2] . حتى ان عليا تنبأ بهذا الحادث : عن الاصبغ قال " اتيت امير المؤمنين فوجدته متفكرا ينكت في الارض فقلت يا امير المؤمنين مالي اراك متفكرا تنكت في الارض ارغبة منك فيها فقال لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوما قط ولكني فكرت في مولود يكون من ظهر الحادي عشر من ولدي هو المهدي الذي يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا يكون له غيبة وحيرة يضل فيها اقوام ويهتدي فيها آخرون فقلت يا امير المؤمنين وكم تكون الحيرة والغيبة قال ستة ايام او ستة اشهر او ست سنين فقلت وان هذا لكاين فقال نعم كما انه مخلوق وانى لك بهذا الامر يا اصبغ اولئك خيار هذه الامة مع خيار ابرار هذه العترة فقلت ثم ما يكون بعد ذلك فقال ثم يفعل الله ما يشاء فان له بداآت وارادات وغايات ونهايات ."[3]

وهكذا انقطعت سلسلة الائمة بوفاة محمد هذا . او بالاحرى بوفاة الحسن ، وبذلك انقطعت الصلة الحسية بين الارض والسماء . ورغما عن كونهم فسروا ذلك تفسيرا يرضيهم ، غير ان فكرة انقطاع هذه الصلة التي كانت عليهم صدمة قاسية ، لذلك بادروا الى ربطها من جديد . نعم ان الامام القائم قد تغيب ، غير انه لم ينس ان يترك وكلاء يكل اليهم (اثناء غيبته) مهمته الالهية .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٧٥ .

(٢) = = = ص ١٧٦ .

(٣) = = = ١٧٦ .

ارتاب المرتابون في امر هؤلاء الوكلاء ، غير ان المعجزات التي حباهم الله بها ، وهي ما ورثوه عن الائمة ، كانت ابداً ترد الناس الى جادة الصواب . وهكذا عادت الثقة والطمأنينة الى المشككين . واخذ الناس يدفعون الى ذا الوكيل النقود التي كانوا يدفعونها قبلا الى الامام . وما كان على ذي الحاجة الا ان يذهب الى (العسكر) فيطرح سؤاله ، وبعد لحظات يخرج له الجواب من (الصاحب) بواسطة (الوكيل) [1] . وهاك مثلين من الامثلة العديدة التي يرويها الكليني : قال احدهم " شككت في امر حاجز (الوكيل) فجمعت شيئا ثم صرت الى العسكر فخرج الي ليس فينا شك ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا رد ما معك الى حاجز ابن يزيد " . وقال آخر " ولد لي ولد فكتبت استأذن في طهره يوم السابع فورد لا تفعل فمات يوم السابع او الثامن فكتبت بموته فورد ستخلف غيره وغيره فسميه احمد ومن بعد احمد جعفرا فجاء كما قال " [2]

تعاقب على منصب الوكالة هذا اربعة وكلاء ، عين اولهم الامام الحادي عشر ، وعين كل من البقية خليفته - حسبما حسب امر المهدي - ، غير ان الوكيل الرابع لم يعين خليفة له ، وبذلك انتهت الغيبة الصغرى التي امتدت من سنة ٢٥٦ - ٣٢٩ ، وابتدأت الغيبة الكبرى ، التي لا تزال سارية المفعول حتى الآن [3] . وسرعان ما انتهت هذه (الغيبة الصغرى) وابتدأت (الغيبة الكبرى) حتى انبرى الحديث يدعمها : قال ابو عبد الله " للقائم غيبتان احدهما قصيرة والاخرى طويلة الغيبة الاولى لا يعلم بمكانه فيها الا خاصة شيعته والاخرى لا يعلم بمكانه فيها الا خاصة مواليه " . وقال ابو عبد الله

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٨٨ - ٢٩٣ .

(٢) = = = ٢٩١ .

(٣) رونلدسن عقيدة الشيعة ، ص ٢٥٢ - ٢٥٧ (نقلا عن كتاب بحار الانوار للمجلسي ، الطبعة الفارسية ، ج ١٣) .

ايضا " لصاحب هذا الامر غيبتان احداهما يرجع منها الى اهله والاخرى يقال هلك في اى واد سلك فقلت كيف تصنع اذا كان ذلك قال اذا ادعاها مدع فاسألوه عن اشياء يجيب فيها مثله " (١)

وهكذا تعرفت الشيعة الامامية على شخصية (مهديها) واخذت منذ غيبته تنتظر رجعته ، سيما بعد انتهاء الغيبة الصغرى وابتداء الغيبة الكبرى . فالرحالة ابن بطوطه يقص علينا ما شاهده من اهل الحلة بقوله : " وبمقربة من ✱ السوق الاعظم بهذه المدينة مسجد على بابه ستر حرير مسدول وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عاداتهم انه يخرج في كل ليلة مائة رجل من اهل المدينة عليهم السلاح وبأيديهم السيوف مشهورة فيأتون امير المدينة بعد صلاة العصر فيأخذون منه فرسا مسرجا ملجما او بغلة كذلك ويضربون الطبول والانفار والبوقات امام تلك الدابة ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها مثلهم ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله اخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا اوان خروجك ليفرق الله بك بين الحق والباطل ولا يزالون كذلك وهم يضربون الابواق والاطبال والانفار الى صلاة المغرب وهم يقولون ان محمد بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه وانه سيخرج وهو الامام المنتظر عندهم." (٢)

ويقص ابن خلدون - وهو معاصر لابن بطوطه - نفس هذه القصة مع بعض الاختلافات ، ففي معرض كلامه عن الشيعة يقول : " الاثنا عشرية منهم يزعمون ان الثاني عشر من ائمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه

---

(١) الكليني ، اصول الكافي ، ص ٩٧٨ .

(٢) رحلة ابن بطوطه (ترجمة ونشر ديفريميري و سانجينيتي ، باريس ١٨٥٣ - ١٨٥٨) ج ٢ ص ٩٧ - ٩٩ .

المهدى دخل في سرداب بدارهم في الحلة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الارض عدلا يشيرون بذلك الى الحديث الواقع في كتاب الترمذى في المهدى وهم الى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركبا فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجئون الامر الى الليلة الآتية وهم على ذلك لهذا العهد ".[1] ويعلل رونالدسن سبب انتظار الامامية خروج المهدى من الحلة مع انه اختفى في سامرا بقوله " ان حقيقة كون الطائفة الشيعية قد سُمح لها ان تتخذ مقرّها بعد سقوط البويهيين في مدينة الحلة القريبة ، والتي قاموا منها بمفاوضاتهم في زمن غزو هلاكوخان ، ادى الى وجود الاخبار في ان ظهور الامام المختفي في تلك المدينة ".[2]

وهكذا بقيت الشيعة الامامية تنتظر رجعة الامام الغائب كمهدى ، ولقد اتخذت هذه العقيدة - كما ذكرنا اعلاه - مركزا هاما جدا بالنسبة لهم . ورغما عن كونهم رموا بظهور (او رجعة) هذا المهدى الى المستقبل البعيد ، غير ان انتظاره الذى طال به امده كان سببا مباشرا في ظهور فرق الشيخية والبابية والازلية والبهائية ، التي كان ظهورها تعبيرا عن التوق على هذا الانتظار الطويل .[3] فشلا عن السيد علي محمد الباب الخامس من جمادى الاول سنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) كموعد لانتهاء الغيبة الكبرى - بعد ان مر عليهما الف سنة تماما - وادعى انه (الباب) للمهدى المنتظر .

---

(١) المقدمة ، ص ١٩٩ .

(٢) عقيدة الشيعة ، ص ٢٤٧ .

(٣) = = = ٣٥٨ .

ثم ادعى انه هو الامام ، وبعدها ادعى انه (النقطة) ، واخيرا ادعى الحلول الالهي . . . فكانت النتيجة فرقة البابية [١]. وهكذا ظهرت هذه الفرق الحديثة ، الواحدة بعد الاخرى ، غير ان فكرة انتظار المهدى الغائب لم تتزعزع بل بقيت عليها جمهرة الشيعة الامامية حتى الآن .

الغـــــــلاة : -

يضم هذا الاسم مجموعة من الفرق الشيعية المتطرفة التي آمنت بمعتقدات تتعارض مع جميع تعاليم الاسلام [٢] . والغلاة هؤلاء هم ابعد اهل التشيع عن السنة ، اما اقربهم فالزيدية ، بينما تقف الاثنا عشرية موقفا وسطا بين الطرفين [٣]. ولقد كان ظهور التشيع المتطرف او الغالي هذا قديم جدا . وتنسبه المصادر الاسلامية السنية الى ابن سبأ وتقول ان عليا نفاه الى ساباط واحرق بعض اتباعه. ولما قتل علي انكر عبد الله بن سبأ موته وقال انه لم يقتل وانما قتل شيطان يشبهه بينما صعد علي - كما صعد عيسى - الى السماء . وذهب بعض اتباعه الى ان عليا في السحاب [٤] . وآمنوا برجعته [٥]. وقال بعضهم الآخر انه المهدى المنتظر [٦] . واسوف بعض هؤلاء الغلاة فقال

---

(١) روندلسن ، عقيدة الشيعة ، ص ٣٠٤ ؛ Browne, A Lit. Hist. of Persia, vol. IV., p. 149 - 51, 159.

xxx

(٢) راجع ابن حزم ، كتاب الفصل ، ج ٤ ص ١٨٣-١٨٨ . Browne, A Lit. Hist. of Persia, vol. II. p. 195.

(٣) R.Strothmann, Encyc. of Islam, vo.IV, art. SHIA, p.352

(٤) الفرق بين الفرق ، البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٢٣-٢٢٤ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج ١ ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٩ . ابن حزم ، كتاب الفصل ، ج ٤ ، ص ١٨٠ . النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ١٩ .

(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٦) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٢٤ . المطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٨١ ابن حزم ، كتاب الفصل ، ج ٤ ، ص ١٨٠ .

ان جبريل اخطأ فأبلغ الرسالة الى محمد بدلا من علي [(١)] . وتمادى البعض فقال ان عليا هو الله [(٢)] . ومما لا شك فيه انه كان للافكار الاجنبية اثرا كبيرا في منشأ وتطور هذا التشيع الغالي . ومنذ وقت مبكر جدا وجدت الافكار الهندية بيئة صالحة في هذه الدوائر الغالية او لنقل ان هذه الافكار الهندية دخلت الفكر الاسلامي عن طريق هؤلاء الغلاة بالدرجة الاولى . ولم تكن حركة المختار الا تعبيرا عن هذا التشيع الغالي .

لم يكون هؤلاء الغلاة فرقة معينة تجمعهم ، بل انهم اندسوا في صفوف المجتمع الاسلامي ، سيما الشيعي ، واصبحوا مصدرا لظهور عدة حركات مسرفة في العنف . كما كانت اوساطهم مرتعا لافكار مسرفة في التطرف ، سيما الافكار الهدامة الفارسية . اذ ان الفرس وجدوا في اوساط هؤلاء الغلاة خير تربة ينفثون فيها سمومهم الشعوبية . فالحرب الشعوبية التي بدأت ضد الجنس العربي تطورت الى حرب ضد الدين العربي .

وهكذا سارت هذه الحركات والافكار الغالية الى ان دخل معظمها ، فيما بعد ، في الفرقة الشيعية المسماة بالسبعية او الاسماعيلية [(٣)] . ولقد اطلق هذان الاسمان - جنبا الى جنب مع الاسماء الاخرى الكثيرة مثل الباطنية والتعليمية الخ - على هذه الفرقة نسبة الى الامام السابع اسماعيل الذى اعترفت به كخليفة لابيه (جعفر الصادق) بدلا عن (موسى الكاظم) الذى اعترفت به الاثنا عشرية ، ولم يباشر اسماعيل هذا الامامة انما تركها لابنه محمد " الذى اصبح الامام السابع الحقيقي وحل بذلك محل ابيه اسماعيل ، ثم ولجيه في الامامة اخلافه في سلسلة طويلة كانوا ائمة ((مستورين)) مختفين .

---

(١) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٣٧ . ابن حزم ، كتاب الفصل ج ٤ ص ١٨٣-١٨٤ .
(٢) = = = = ٢٢٦،١٣٩ = = = = = ١٨٦-١٨٨ .
(٣) Browne, A Lit. Hist. of Persia, vol. II, p. 195.

اجتنبوا الجماعة بالدعوة الى اللحظة التي انبعث فيها الحركة الاسماعيلية بظهور الامام الشرعي في شخص عبيد الله على اعتبار انه المهدي المنتظر.[1]

ومن هذه الفرقة الاسماعيلية انبعثت اعنف الحركات التي حاربت الخلافة العباسية حربا ايجابية سواء انتهت بانتهاء هذه الخلافة وتحطيمها ، وما حروب القرامطة[2] المتعددة ، وحركة الحشاشين[3] المخيفة ، وتلك المؤامرة التي اسفرت عن قيام دولة الفاطميين في شمال افريقيا الا نتيجة من نتائج الحركة الاسماعيلية .

استفاد قواد الحركة الاسماعيلية من الافكار الفارسية القديمة ، والافكار الافلاطونية الحديثة ايما استفادة . وابتدعوا من هذا كله نظاما فكريا جهيد الحبك متين التركيب عمل دعاة هذه الفرقة على نشره بين الناس في كتمان عظيم وبراعة فائقة ، وضعوا نظاما فلسفيا هو صورة تاريخية منعكسة لفلسفة الفيض الكوني ، يذهب الى ان المهدي - وهو الذي سيلي الناطق السابع - سيأتي برسالة تفوق كل ما قبلها ، حتى رسالة محمد . ومن الواضح ان هذا التطبيق لفكرة المهدية يهدم احدى دعائم الاسلام الاساسية - الايمان أن محمد هو خاتم الانبياء . فلا الاسلام السني ولا التشيع المألوف يشك

---

(١) جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٢١٢ .

(٢) قالت القرامطة ان محمد بن اسماعيل حي لم يمت وانه في بلاد الروم وانه القائم المهدي . راجع (النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٦١ - ٦٤) .

(٣) احد الاماكن التي يبشر بخروج المهدي منها هو قلعة الموت . (المطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٨٢) .

في ذلـك [١] . ولم تتحد رسالة المهدى في نشر الكل " ملء الارض قسطا وعدلا " . وهذا يعني السير حسب تعاليم النبي ، لا الاتيان بما هو خير منها .

وقرب نهاية القرن الثالث الهجري اصبحت الظروف ملائمة لظهور هذا المهدى الاسماعيلي . ولقد ارتأى دعاته ان يظهر في بلاد المغرب ، لملائمة الاحوال هنالك . واستغل الدعاة سلاح الاحاديث المهدوية في الدعاية والتمهيد لظهوره فخرجت علينا هذه الاحاديث ، لاول مرة ، بفكرة ظهور المهدى في بلاد المغرب [٢] وهو تعديل فرضته الظروف فرضا - بعد ان كان ظهوره فيما مضى في مكة او سوريا او الشرق الاقصى ... وبفضل دعايات الدعاة عموما وابي عبد الله الشيعي خصوصا ، تمهدت الطريق امام هذا المتمهدى ، ليصل الى كرسي الخلافة . وهكذا خرج الى العيان اول امام من الائمة الاسماعيليين المستورين . [٣] ولسنا في معرض الكلام عن نسب عبد الله هذا ، المهدى ، وعما اذا كان حقيقة علوي النسب ، ام يهوديه ، ومهما يكن من امر فان حركة هذا المهدى هي اول حركة مهدوية صوفية اسفرت عن تأسيس دولة ، بل امبراطورية دانت لها بلاد المغرب ثم مصر وصقلية وسوريا ومكة ، والمدينة ، هذا بجانب فتوحاتها الوقتية في جنوب اوروبا ، امبراطورية دامت من سنة ٢٩٧ - ٥٦٧ .

---

(١) جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٢١٢ - ٢١٤ . Grunebaum, Med. Islam, p. 196 - 7 . Browne, A Lit. Hist. of Persia, Vol. II p. 195 - 8.

(٢) القرطبي ، التذكرة ، ص ٢٢٢-٢٢٣ ، ٢٢٦ . Hurgronje, Vers. Geschriften, vol. I, p. 164.

(٣) Grunebaum, Med. Islam, p. 197.

وهكذا حكم المهدى ! فهل " ملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا " ؟ كلا ، فلقد كان حكمه كحكم اى خليفة آخر ، وانتقد واول ضحية له كان ابو عبد الله الشيعي ، صم ، ذلك الرجل الذى مهد الطريق لمهديته ، هذا واستمرت المشاكل والحروب الداخلية ، في عهده وعهد خلفاءه . ولم تخرج الارض كنوزها بل كثرت الزلازل وانتشر الطاعون وعم القحط في اوقات كثيرة ، وهل فتح المهدى الارض ؟ طبعا كلا ، فلم يفتح منها الا جزء يسير ويسير جدا ، ثم زاد عليه خلفاءه واخيرا خسرواكل شيء ... ومضى هذا المهدى او المتمهدى كما مضى غيره لم يخلف الا الذكرى ، وبعض التنويع الذى اضيف الى الاحاديث المهدوية .

* * *
* *
*

((الفصل الثاني))

السنيون عموما وفكرة المهدي

قد يستنتج القارئ مما تقدم ان فكرة المهدي المنتظر والحركات التي نتجت عنها ، كانت محصورة في الاوساط الشيعية دون سواها . هذا غير صحيح . اذ ان الكثيرين من اهل السنة تبنوا هذه الفكرة ايضا . والواقع ان فكرة المهدي اصبحت – منذ ثورة المختار – علم الثورة يرفعه كل من يثور على الخلافة شيعيا كان او سنيا ، كما كانت قبلها وبعدها معتقد رجاء اولئك الذين انتظروا من الله تغيير الوضع السيء .

والذي يحمل الانسان على الظن ان هذه الفكرة كانت محصورة في الدوائر الشيعية هو تفشيها الغير محدود في اوساطهم – وطبعا سبب ذلك هو سوء ظروفهم – ثم تركها ذلك الاثر القوي في معتقداتهم الدينية .

في معرض كلامنا عن منشأ هذه الفكرة ، قلنا انها ظهرت اول ما ظهرت بين الاتقياء والزهاد عموما ، والشيعة خصوصا . وكان ظهورها في وقت لم يتخذ التشيع فيه شكله الديني النهائي ، فساهم في حمل ونشر الافكار المهدوية الذين قدّر لهم ان يكونوا فيما بعد المذهب السني (سيما الاتقياء والزهاد منهم) كما ساهم الذين تطوروا الى التشيع المعروف . وكانت اول حركة مهدوية قام بها سني ، كما سنبين فيما بعد ، هي حركة القحطاني ، وتلاها ظهور المهدي الاموي ، السفياني ، ولقد سبق لنا (اعلاه ، ص ٨٥ – ٩٤) ان سردنا قصة استغلال العباسيين ، السنيين ، للفكرة المهدية . وهكذا سارت

الحركات المهدوية السنية ، ولكنها استغلت ، من قبل قواد هذه الحركات ، لصالح الفكرة . ووجدنا الى جنب هذه الحركات المهدوية السنية ، انتشار الايمان السائد بهذه الفكرة شاقا طريقه الى صدور افراد عامة الشعب السني المتبرم بالاوضاع ، ايمان كانت ابدا تغذيه الافكار (الاحاديث) الشيعية من جهة وافكار القواد الاستغلاليين (المتمهدين ودعاتهم) من جهة اخرى . ولما كانت لغة التعبير عن هذه الفكرة والايمان بها هو الحديث النبوي ، لذلك تركت هذه الحركات وتلك الافكار المهدوية اثارها بينة في الاحاديث المهدوية كما سنتبين فيما بعد .

وقبل ان نبدأ عرضنا لقصة الافكار المهدوية في الاوساط السنية علينا ان نذكر ان هذه الافكار لم تصل فيها الى درجة الاعتقادات الاساسية مطلقا . ولم تدخل تماما في حياة السني الدينية اليومية . بدأت هذه الفكرة في الاوساط السنية كامنية سياسية ، سرعان ما قذف بها الى فصل اشراط الساعة الطويل المعقد ، دون ان تنال اجماع اهل السنة في ذينك الطورين .

<u>القحطاني :-</u>

ظهرت مهدية هذا القحطاني في وقت قريب جدا من ثورة المختار . اما هذا الشخص الذي تلقب بالقحطاني فهو عبد الرحمن ابن محمد بن الاشعث . وتصف المصادر ابنَ الاشعث هذا بالطموح والانتهازية ، لدرجة تجعلنا نحكم عليه بأنه قريب الشبه بالمختار ؛ فعندما اشتد امر الاخير ، جاء ابنَ الاشعث الى ابيه وقال له " على ماذا نقيم في غير عز ولا منعة ولا انتظار ثوة " ولم يزل به حتى قدم الكوفة ودخل على المختار فسلم عليه ودعا له وهناه وعرض عليه ان يجلس للقضاء فأبى ذلك[(١)] . والظاهر ان رفض المختار عرض ابيه ترك في نفسه اثرا سيئا ، فخاصم المختار ، ثم حاربه كقائد تحت امرة مصعب بن الزبير[(٢)] . ولما قضى على المختار عين مصعبُ ابنَ الاشعث واليا على البصرة[(٣)] . وبعد القضاء على حركة ابن الزبير انضم ابن الاشعث الى صفوف الامويين واصبح من قوادهم الذين يعملون تحت امرة الحجاج .

وفي سنة ٨١ ارسله الحجاج في جيش كثيف حسن العدة ، يسمى جيش الطواويس ، الى سجستان لغزو رتبيل ملك زابلستان ، ففتح الكثير من بلادهم ، ثم وقع بينه وبين الحجاج اختلاف فاستدعاه الاخير بطريقة غليظة . فدعا ابن الاشعث مَنْ معه من رؤساء العراق لخلع الحجاج فأجابوه . ثم جمع لاخراج الحجاج من العراق والطعن من الخليفة (عبد الملك) ارسال غيره . وما ان وصل اصطخر فارس حتى " عظمت جموعه ولحق به كثير من اهل العراق ورؤسائهم وقرائهم ونساكهم " فشعر بالقوة وخلع الخليفة الاموي وخلعه معه الناس . وعندها " سمى

---

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ص ، ص ٢٢٩ .
(٢) = = = = = ٢٦٠ ، ٢٦٢ .
(٣) = = = = = ٢٧٦ .

نفسه ناصر المؤمنين وذكر انه القحطاني الذي ينتظره اليمانية ، وانه يعيد الملك فيها . فقيل له ان القحطاني على ثلاثة احرف فقال اسمي عبد واما الرحمن فليس من اسمي " فصدقه واقتنع اتباعه بهذا الجواب البسيط . انهم يحبون الخروج . وهكذا اخذت جموع اتباعه تتزايد شيئا فشيئا والتحم مع الحجاج في حوالي ثمانين معركة يصفها المسعودي بقوله " ولم يكن بعد وقائع صفين اعظم من هذه الحروب ولا اهول من هذه الزحوف " واخيرا تمكن الحجاج بعد عنت لا حد له من قهر قواه فهرب (٨٤) الى سجستان حيث انتحر مخافة الوقوع في يد الحجاج .(١)

هذه حركة مهدوية ليست شيعية . لعظم اتباع هذا المتمهدي كانوا من القراء والنساك ، واذا صح ان الشيعة ساعدوه في حركته ، فانما فعلوا ذلك حبا في الخروج . نقول انها حركة لا يمكن ان تكون شيعية لان الرجل ذكر صراحة ان مهمته اعادة الملك لليمانية ، بينما كانت جموع الشيعة تنتظر دولة آل البيت . ثم ان الشيعة لم تستعمل قطعيا اسم القحطاني كناية عن المهدي .

بقيت مسألة هامة اشار اليها المطهر المقدسي بقوله " ولما خرج عبد الرحمن بن الاشعث على الحجاج تسمى بالقحطاني وكتب الى العمال من عبد الرحمن ناصر امير المؤمنين فقيل له اسم القحطاني على ثلاثة احرف فقال اسمي عبد وليس الرحمن من اسمي فدل هذا ان هذا القحطاني كان مشهورا عندهم ".(٢) فتحليل المقدسي في محله ، اذا صحت روايته ، ورواية المسعودي ، عن اجابة ابن الاشعث لاتباعه بهذا الجواب . فمتى برزت هذه التسمية ، القحطاني ، للمقدسي ؟ وقحطان كما نعلم هو الجد الاكبر الذي انتسب اليه عرب الجنوب ، مقابل عدنان

---

(١) التنبيه والاشراف ، ص ٣١٤-٣١٥ .

(٢) البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

الذى انتسب اليه عرب الشمال [١] . فهل برز هذا المهدى (القحطاني) في العصر الاسلامي ، ام قبله ، في ذلك الوقت الذى كان فيه اليمن يئن تحت كابوس الاحتلالات الاجنبية الحبشية والفارسية ؟ ومسألة قدم فكرة المخلص عند عرب الجنوب مسألة سنعود اليها مع الكثير من الشرح فيما يلي عند كلامنا عن اسم آخر للمهدى (المنصور) .
ونحن اذا تركنا جانبا مسألة قدم هذه التسمية عند عرب الجنوب ، ونظرنا اليها كتسمية ظهرت في الاسلام ، نرى انفسنا وجها لوجه امام اول اقحام مكشوف لفكرة المخلص في المشاحنات الاقليمية والقبلية في الاسلام . فهذا رجل ينتمي لعرب الجنوب يسوق اخوانه في حرب ضد عرب الشمال ليعيد الملك في بني واسه .

ومهما يكن من امر ، فقد انطوت صفحة هذا القحطاني وفشلت حركته السياسية والعسكرية ، لكن ذكراه بقيت عالقة في الاذهان ... وهكذا دخل هذا القحطاني في عداد اشراط الساعة .

<u>السفياني :-</u>

كان لانتقال الحكم من الفرع السفياني الى الفرع المرواني - وهما فرعان من الاسرة الاموية - في ظروف غامضة ان نشأ بين الفرع السفياني امل في رجوع الخلافة او الامامة فيه [٢] . بدأ هذا الانتقال عندما تربع مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٩) على كرسي الخلافة . ومنذ ذلك الوقت انتظم اعضاء الفرع السفياني في صفوف معارضي الدولة . وعلى الطريقة المتبعة آنذاك تحت اشراد

---

(١) راجع : A. Fischer, Encyc. of Islam, vol.II, art.KAHTAN, p. 628. Hurgronje, Vers. Geschriften, vol. I. p. 156

(٢) Macdonald, Encyc. of Islam, vo.III, art.AL-MAHDI p.114.

هذا الفرع البائس من فكرة المهدية مهديا ينتظرونه ؛ وهكذا ظهر اسم (السفياني) ...

وتذهب بعض الاخبار الى ان خالد بن يزيد بن معاوية (المتوفى سنة ٩٠) هو اول من اخترع هذا المخلص السفياني . ويصف البيروني خالدا هذا بأنه " كان اول فلاسفة الاسلام وحتى قيل ان علمه من الذي استخرجه دانيال من غار الكنز وهو الذي اودعه آدم ابو البشر ما علم ".[١] ويقول الاصبهاني رواية عن مصعب " وزعموا انه هو الذي وضع خبر السفياني وكبره واراد ان يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوج امه ام هاشم وهذا وهم من مصعب فان السفياني قد رواه غير واحد وتتابعت فيه/ رواية الخاصة والعامة وذكر خبر امره ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين ع وغيره من اهل البيت "[٢] ونحن نشاطر احمد امين[٣] شكه في صحة نقد الاصبهاني لهذا الخبر . ورواية ابن تغري بردى تلقي بعض الضوء على ما نحن بصدده ؛ يقول " قيل : ان خالدا هذا بويع بالخلافة بعد اخيه معاوية بن يزيد بن معاوية فلم يتم امره ، ووثب مروان بن الحكم على الامر وخلع خالدا هذا وتزوج بامه ، ... وقيل : انه هو الذي وضع حديث السفياني انه يأتي في آخر الزمان لما سمع بحديث المهدي ".[٤] فهذا رجل طموح الى حد بعيد حُرم من الخلافة التي بويع فيها ، ثم ان المغتصب اهانه عندما تزوج من امه . فماذا لا يفكر في الانتقام من المغتصب ؟ ولكن خصمه قوي جبار ، فما كان منه الا ان تعلم من اعداء هذا الخليفة (او اعداء الخلافة) استعمال سلاحهم ، فنحت مهديا سفيانيا على غرار المهدي

---

(١) الاثار الباقية ، ص ٣٠٢ .

(٢) الاغاني ، ج ١٦ ، ص ٨٥ .

(٣) ضحى الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٤) النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب المصرية) ، ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩ م) ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

العلوي او القحطاني .

وعندما يئس من امر فان الامل بجموع الامر في بني سفيان اصبح محط انظار اعضاء هذا الفرع الاموي الذي ناصب الاسرة الحاكمة العداء . ثم دار الدهر دورته وسقطت الخلافة الاموية بأجمعها ، وتربع بنو العباس على كرسي الحكم .

ولم يخضع بنو امية ومن خلفهم اهل سوريا - كما لم يخضع الشيعة - لهذا الامر الواقع ، بل انهم ناصبوا الخلافة العباسية العداء . ولم يعدم الامويون شيعة يسيرون في ركابهم ، فحتى في خراسان العلوي البعيد كان لهم شيعة يناصرونهم [1] وفي عهد مبكر جدا بدت مقاومة الامويين للخلافة الجديدة عنيفة وعلى اشدها . فانطلق ذلك الرجل الذي سمي فيما بعد بصقر قريش ليكمل في الغرب ما بدأه اباءه في الشرق . اما الذين بقوا في الشرق ، فانهم حاربوا الخلافة بنفس السلاح الذي حاربها به اعداءها سيما الشيعة . وهكذا التفت جمهرتهم حول الامل المعقود بظهور المهدي الذي سيعيد الملك فيهم : السفياني . بذلك تطور هذا المهدي الذي بدأ كنصير لفرع من الاسرة الاموية ، الى ان عمت رسالته فاصبحت تضم الاسرة الاموية بأسرها [2] .

وعلى نفس الطريقة الشيعية ، اخذت الاسرة الاموية تقدم السفياني تلو الآخر ، وكلما ظهر احد هؤلاء السفيانيين كانت تنضم حوله جموع الساخطين على الدولة ، كما حصلت مع المهديين الآخرين . وعندما خرج (١٣٢) ابو محمد (زياد) بن عبد الله بن

---

(١) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٢) راجع : Hurgronje, Vers. Gezchriften, vol.I, p. 155.

يزيد بن معاوية في حلب ملقبا بالسفياني بإسم الذين " بيضوا " عليهم ودعوا اليه قائلين " هو السفياني الذى كان يذكر " (١) .
بيد ان قواد ابي العباس السفاح وضعوا حدا لهذا السفياني وثورته . وبعد ان فشلت مهدية (او سفيانية) ابي محمد هذا اختلف الناس فيه بين قائلين ان النبوءة قد تحققت بظهوره ، ومنكرين ذلك بقوا على انتظارهم للسفياني الحقيقي (٢) .

وكلما ازداد ضغط العباسيين على بني امية واتباعهم كلما ازداد اعتقادهم بظهور هذا السفياني المنتظر . ولقد جارى الامويون فنون حرب زمانهم ، فوضعوا احاديث تتمشى وامانيهم . رووا عن النبي انه قال في معرض ذكره ولد العباس " يكون هلاكهم على يدى رجل من اهل بيت هنده واوأ الى حبيبة بنت ابي سفيان (٣) فاستعمال (حبيبة) كان لا بد منه ، جريا مع فنون الزمان ، حتى يجاري هذا الحديث الاحاديث الشيعية التي تبدو ان يكون المهدى " من ولد فاطمة " او " من بني فاطمة " (٤) .

هذا ولم يقف العباسيون مكتوفي الايدى امام هذا العدو (السفياني) الجديد ، بل حاربوه كما حاربوا غيره من المهديين : فكما حاربوا الامويين بسلاح القوة والضغط ، كذلك شنوا عليهم حربا " مهدوية " ، وبين عشية وضحاها اصبح هذا المهدى بؤرة فساد واجرام : يظهر في دمشق فيتبعه اعوان مجرمون

---

(١) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثالثة ، ص ١٣٢ .
(٢) المطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .
(٣) = = = = = = = ١٧٦ .
(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣١٤ .

مثله يبقرون بطون الحبالى ويشنرون النساء بالمناشير ، بل ويطبخونهم في القدور . ثم يبعث جيشا من اعوانه الى المدينة يعملون فيها الدمار والخراب ، حتى انهم " ينبشون عن قبر النبي صلعم وقبر فاطمة رضها ثم يقتلون كل من اسمه محمد وفاطمة ويصلبونهم على باب المسجد" ، عندئذ يشتد غضب الله فيخسف بهم الارض . وفي خبر (اوحديث) آخر يذكر انهم بعد تدمير المدينة يتوجهون الى مكة التي يكون قد ظهر فيها المهدي (!) فيتوجه المهدي للقائهم معه اثنا عشر الفا منهم الابدال والاعلام حتى يأتي البيداء فيأسر السفياني ويغير على كلب (!) لانهم تباعه (×) ويسبي نساءهم (١) . ولسنا نحلم على وجه الضبط واليقين ما اذا كان العباسيون وحدهم مسؤولين عن هذا العبث الشنيع بالسفياني ، ام هل شاركهم فيه بقية اعداء بني امية من شيعة علويين واتقياء وغيرهم . كما لا نستطيع ان نحكم بالضبط عن الوقت الذي وضع فيه هذا الحديث او ذاك ، او هذا القسم او ذاك من الحديث . وفي حديث اثنا عشري متأخر ، وضع على لسان ابي عبد الله ، يقول فيه متحدثا عن الامام الثاني عشر الذي اختفى :" لا بد من قتل غلام في المدينة " ولما سأله احدهم " أليس يقتله جيش السفياني " قال " لا ولكن يقتله جيش آل بني فلان " . (٢) طبعا ، لقد انقضى منذ عهد بعيد الحكم الاموي ، ولم يعد من الضروري ان يجني بنو امية على هذا الخادم المهدي ، انما يفعل ذلك غيرهم ، الحاكمون ، بنو العباس .

---

(١) المطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧٨ - ١٨٠ .

(٢) الكليني ، اصول الكافي ، ص ١٢٦ .

(×) يذكر البلاذري (انساب الاشراف ، ج ٤ ، القسم الثاني ، ص ٦٨) عن خالد بن يزيد هذا الخبر : "وكان خالد يتعصب لاخوال ابيه من كلب ويحبهم على قيس في حرب قيس وكلب " .

ومهما يكن من امر فلقد ضرب الامويون بهذه الاهانات التي لحقت بهم عرض الحائط ، وثابروا على انتظاره وتبجيله ، وثابر متمهدوهم على الظهور ، فخرج ايام الخليفة العباسي موسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠) دحية بن مصعب بن الاصبغ بن عبد العزيز ، ولكنه فشل وقتل[1] . وخرج بالشام (١٩٥) علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية وتلقب بالسفياني . وقويت حركته ، وكان اكثر اتباعه من قبيلة كلب ، غير ان قواد الخليفة (الامين) بمساعدة قبيلة قيس قتلوا حركته[2] . وحتى في عهد الخليفة المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥) ظهر آخر بحران فقضى عليه عامل الخليفة عليها[3] . ولا تذكر المصادر التي وصلتنا اليها ان الثاني والرابع من هؤلاء حمل لقب السفياني بل تذكر فقط انهما " خرجا " . ولا داعي لان تذكر المصادر ان فلانا قد تلقب بلقب المهدي او السفياني ، اذ ان " الخروج " والعهد وادعاء المهدية اصبحا مترادفين .

وبعد ان خرج من خرج من الامويين للمطالبة برد الامر اليهم ، وبعد ان فشلوا - كما فشل العلويون - في مقاومة الدولة العباسية المتيدة ، تركوا امر الخروج هذا ، واخذوا يغطون في احلام حلوة لذيذة - تماما كما فعل العلويون - ولدعم ما نحن بصدده نثبت هذه الحقائق الهامة التي لخصها لنا المسعودي عن كتاب اطلع عليه عند شيعة الامويين :

" ورأيت في سنة ٣٢٤ بمدينة طبرية ... عند بعض موالي بني امية ممن ينتحل العلم والادب ويتحيز الى العثمانية كتابا فيه نحو من ثلاثمائة ورقة بخط مجموع مترجم بكتاب البراهين في امامة

---

(١) ابن دريد ، كتاب الاشتقاق ، ص ٤٨ . (٢) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٦١٢ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٣٢ .

الاموييين ونشر ما طوى من فضائلهم ابواب مترجمة ودلائل مفصلة يذكر فيه خلافة عثمان بن عفان ومعاوية ويزيد ... الى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ثم يذكر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وان مروان بن محمد نص عليه وعهد بالامر له بعده ويسوق سائر من تملك بالاندلس من بني امية من ولد عبد الرحمن المقدم ذكرهم الى سنة ٣١٠ وذكر عبد الرحمن بن محمد الوالي عليها في هذا الوقت وهو سنة ٣٤٥ ووصف لكل واحد منهم فضائل ومناقب وامورا استحق بها الامامة ونصوصا على اسمائهم واعيانهم وادعى الاخبار المتواتر الجائية مجيء الاستفاضة وعزى ذلك الى شيعة العثمانية ورجال السفيانية وانصار المروانية معارضا لاهل الامامة وهم جمهور الشيعة في النصوص والنقل ومستدلا على فساد تأويل اصحاب الاختيار من المعتزلة والزيدية والخوارج ، والمرجئة والحشوية والنابتة ، ومناقضا لاصحاب النص على ابي بكر من اصحاب الحديث ، والبيهسية من الخوارج والبكرية اصحاب بكر بن اخت عبد الواحد وغيرهم واتى بمسائل ومعارضات على من ذكرنا والزامات وذكر من بعد ذلك اخبارا من اخبار الملاحم الآتية والاخبار الكائنة ما يحدث في المستقبل من الزمان والاتي من الايام من ظهور امرهم ورجوع دولتهم وظهور السفياني في الوادي اليابس من ارض الشام في غسان وقضاعة ولخم وجذام وغاراته وحروبه ومسير الامويين من بلاد الاندلس الى الشام وانهم اصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر وما يكون لهم من الوقائع والحروب والغارات والزحوف ."(١)

---

(١) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

من هذا الملخص لهذا الكتاب القيم نرى ان الامويين لم يتخلفوا عن اتباع الطرق التي اتبعها غيرهم من احزاب المعارضة ، انهم بأملون في رجوع الامر اليهم على يد مخلصهم السفياني . وبعد محاولات ذكرنا بعضها اعلاه - قذف الامويون بأمانيهم هذه الى مستقبل بعيد مجهول . ولكنهم لم يتعدوا ذلك ، اى انهم لم يجاروا الشيعة في التمادى من ايمان برجعة هذا السفياني او ذاك ، او اسباغ الوان القداسة على مرشحيهم . او عدم الاعتراف بوفاة من توفي منهم . وهم وان ذكروا انه كان لخلفائهم القابا دينية (x) كالتي حملها بعدهم العباسيون ، فهم لا يحسنون اكثر من احترامهم لانهم حسب رأيهم ساروا على الصراط المستقيم . ومع انهم بشروا وآمنوا برجوع الامر

(x) يذكر المسعودى (التنبيه والاشراف ص ٣٣٥-٣٣٦) انه اطلع عند بعض شيعة بني امية المتأخرين على روايتين تدلان على انه كان لمن ملك من بني امية القابا كألقاب خلفاء العباسيين ، كلقب معاوية بالناصر لحق الله ومروان بالمؤمن بالله وعبد الملك بالموفق لامر الله وسليمان بن عبد الملك بالمهدى وهشام بن عبد الملك المنصور ... وهلجرا . ثم ينتقد صحة هاتين الروايتين بحجة نحن اليوم نعرف فسادها . يقول المسعودى " وهو وان جاء بهاتين الروايتين فان الكافة على خلافه فلو كان الامر على ما ذكر لظهر واشتهر واستفاض وجاء في الاخبار المنقولة القاطعة للعذر والاعمال الموروثة فلما لم يذكره الجمهور من حملة الاخبار ونقلة السير والاثار ولا دونه مصنفوا الكتب في التواريخ والسير ممن ذكر اخبارهم ووصف ايامهم ممن تولاهم وانحرف عنهم علم ان ذلك لا اصل له".

فيهم ، غير ان ذلك لم يتعدى ان يكون املا سياسيا صرفا . ولا نعتقد ان الامويين مسؤولون عن اقحام سفيانيهم في الاحاديث الموسومة بأحاديث اشراط الساعة ، بل فعل ذلك اخصامهم بعد ان شوهوا هذا المهدى ايما تشويه .

ومهما يكن من امر فلقد بقي الامويون ينتظرون رجعة الامر فيهم على يد هذا المخلص السفياني لمدة طويلة كما يشهد البيروني (١) (٣٦٢ - ٤٤٨) . ويقول جرونباوم (٢) ان هذا الانتظار دام لما يقل عن اربعة قرون بعد سقوط الدولة الاموية .

وبعد عن تراخي الزمن وانقطاع امل الامويين في رجوع الامر اليهم ، فقد بقيت خرافة هذا السفياني تحتل مكانتها اللائق بين الاحاديث المهدية ، وهي اثناء ذلك في ازدياد وتوسع مستمرين . ففي مجموعة الاحاديث التي جاءنا بها القرطبي (المتوفى ٦٧١ = ١٢٧٢) نرى آثار ذلك واضحا . واغرب ما في هذه الاحاديث ذلك الحديث (التوفيقي) الذى حاول فيه الجامع ان يوحد بين السفياني المخلص (المهدى) والسفياني الدجال (عدو المهدى) : اولنقل بين الاحاديث التي وضعها الامويون عن هذا السفياني والاخرى التي وضعها عنه اخصامهم (١) : تكون فتنة بين اهل المشرق والمغرب ، وفي اثناء ذلك يظهر السفياني من الوادي اليابس ثم ينزل دمشق ويرسل جيشين ، احدهما الى المشرق حيث يحيق الدمار ببني العباس ويقتل منهم ثلاثة . الم يكن هذا ما اراده الامويون من سفيانيهم ولكن واضع الحديث يتابع قصته : ثم يجمع ذلك الجيش بغنائمه متوجها نحو الشام . ولكنه يفاجأ

---

(١) الآثار الباقية ، ص ٢١٢ .

(٢) Med. Islam, p. 194.

بخروج المهدى من الكوفة فيقتل المهدى هذا الجيش ويستولي على غنائه . هذا مصير جيش السفياني الاول ، اما الجيش الثاني - الذى يتوجه نحو الحجاز - فان الله يهلكه بعد ان يخرب المدينة ويتوجه نحو مكة .[1] بيد ان حديثا آخر ، يُسمّى فيه السفياني باسم محمد بن عروة السفياني ، لا يرتضي ان يهلك جيشه على يدى الله ، بل على يدى المهدى الذى يكون آنذاك في مكة . وطبعا لا يهلك هذا الجيش الا بعد ان يدمر مدينة النبي[2] . وفي حديث ثالث يذكر ان هذا المهدى سيخرج من اقصى المغرب . حيث تكون راياته بيضاء وصفراء ومكتوب عليها اسم الله الاعظم " فلا تهزم له راية " اما قيام هذه الرايات وانبعاثها - طبعا المهدى يكون تحتها - فمن ساحل البحر بموضع يقال له ماسة من جبل المغرب حيث يبايع للمهدى . ثم يبايعه الناس - وهو كاره لذلك - مرة ثانية في مكة بين الركن والمقام[×] . وما ان يتم للمهدى ذلك حتى يأمر الناس بالخروج معه لمحاربة عروة بن محمد لها السفياني - عدو الله وعدوهم - فيخرجوا لمحاربته ومحاربة من معه من كلب في الشام .[3] وليس من الغريب ان يجمع القرطبي في تذكرته جميع هذه المتناقضات ، بل الغريب انه يؤمن بها جميعها .

---

(١) التذكرة ، ص ٢٣٠ .

(٢) = = ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٣) = = ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(×) وطبعا هذا حديث (توفيقي) آخر ، وفق بين حديثين يقول اولهما بظهور المهدى ومبايعته بمكة ، بينما يقول الآخر - وهو احدث من حيث الوقت - ان ذلك يكون بالمغرب الاقصى .

المنصـــور (×) :-

وهذه تسمية اخرى لهذا المخلص عثرنا عليها مبعثرة هنا وهناك في شتى المصادر . ولم نستطع - بما لضيق نطاق المصادر الاولية التي رجعنا اليها - ان تكون عندنا صورة تاريخية كاملة . حتى ان المؤرخين الحديثين الذين كتبوا عن فكرة المهدية لم يتعرضوا لهذا المنصور ، اللهم الا فان فلوتن (١) وبرنارد لويس (٢) ، اللذين اشارا اليه بصورة خاطفة دون ان يشيروا اصل هذه التسمية وتطورها ما قد تستحقه من قيمة . ولما لم نستطع ان نحدد بالضبط منشأ وتطور هذه التسمية ، لذلك سنعالجها بصورة مكشوفة آملين ان يتاح لنا في المستقبل الاطلاع على مصادر قد تلقي ضوءا عليها .

ومن المهم جدا ان نلاحظ تقدم استعمال هذه الكلمة . اذ انها استعملت لاول مرة في التاريخ الاسلامي - حسبما نعلم - عند بدء ثورة الحسين بن علي على يزيد بن معاوية . وذلك ان عبيد بن زياد - عامل يزيد على الكوفة - سجن هانئ بن عروة المرادى - احد شيعة الحسين - وضربه ضربا مبرحا . وظن اصحابه ان عبيدا قتله ، فاخبروا بذلك مسلم بن عقيل - الذى كان الحسين ارسله الى الكوفة ليستكشف له الوضع فيها . يقول المسعودى " ولما بلغ مسلما ط فعل ابن زياد بهانئ امر مناديا فنادى يا منصور ، وكانت شعارهم ، فتنادى اهل الكوفة بها فاجتمع اليه في وقت واحد ثمانية عشر الف رجل" (٣) .

---

(١) السيادة العربية ، ص ١٢٠ . (٣) مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) اصول الاسماعيلية ، ص ١٩٦-١٩٧ . (×) راجع اشتقاق هذه الكلمة : ابن دريد ، كتاب الاشتقاق ، ص ٩٩ - ٢٠٠ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٦٨ .

فجملة " يا منصور " اذا شعار الشيعة ، وكلهم كان يعلم بها . فمتى عهد الشيعة بها يا ترى ؟ ومن اين جاءوا بها ؟ لسنا ندرى . وهل كانوا يعنون بها شيئا ام هل كانت مجرد اصطلاح سرى تفاهم عليه ؟ ولما اعلن المختار الثورة في الكوفة باسم ابن الحنفية استعمل ايضا هذا التعبير كاشارة للنفير ، ها هو يأمر اتباعه اعلان ذلك قائلا " قم يا سعيد بن منقذ فاشعل في الهرادى النيران ثم ارفعها للمسلمين وقم انت يا عبيد الله بن شداد فناد يامنصور امت وقم انت يا سفيان بن ليل وانت يا قدامة بن مالك فناديا لثارات الحسين "[1] . وهكذا اخذ اتباعه يرددون جملة " يا منصور امت "[2]

وعندما اخذ اهل الكوفة يقنعون زيدا بن علي بن الحسين بعدم الرجوع الى المدينة والبقاء عندهم ، قالوا فيما قالوا " فانا نرجو ان تكون المنصور وان يكون هذا الزمان الزمان الذى يهلك فيه بنو امية "[3] . ولا نستطيع ان نقطع في ان اهل الكوفة استعملوا كلمة (المنصور) بالمعنى المهدوى ، ام بالمعنى العادى (اى اسم مفعول بمعنى الفاعل من فعل نصر ينصر) . بعد

يقول المسعودى في معرض كلامه عن هشام بن عبد الملك " وسمي هشام ابن عبد الملك بالمنصور وذلك انه ولد في الساعة التي ورد الكتاب فيها بما كان من مقتل مصعب بن الزبير فلما قدم ابوه جيء به اليه وخبر باسمه فقال لسميه هذا من اسمائنا بل سمو باسم جده لامه هشام ولقبوه المنصور فلم يزل على ذلك حتى عهد اليه

---

(١) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص٦١٦ . البلاذرى ، انساب الاشراف ، ج ٥، ص ٢٢٥ .

(٢) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجملة الثانية ، ص ٦٢٠ .

(٣) ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ١٥٢ .

يزيد فلقب بالمتخير من آل الله "(١). فماذا يعني بقولة "ليس هذا من اسمائنا "؟ الا يشير الى ان لهذا الاسم مفهوما خاصا عند جماعة خاصة .

وبعد ان قتل ابو جعفر(الخليفة العباسي الثاني)(محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب الذي خرج في المدينة كمهدي - كما ذكرنا سابقا - وقتل تلك الحركة المهدوية الثورية بقتل اخيه ابراهيم ، بعد ذلك تلقب بالمنصور (٢) . ثم سمى عاصمة ملكه - بغداد - التي ابتناها لنفسه مدينة المنصور (٣) . ونحن لا نميل ما ملنا الى الاعتقاد بأنه حمل هذا اللقب عفوا ، او انه بمعنى " المنتصر " ، بل انه عنى تلك التسمية ، محمم عنى فيها ما التسمى باسم هذا الموعود بالنصر والذي لقبه المنصور . كما عنى شيئا عندما لقب ابنه وخليفته بلقب المهدى . وتلك المغاورة التي قام بها ، والتي جعل فيها من نفسه مثلا للجبروت والقوة والقسوة ، ومن ابنه المهدى مثلا للرحمة والعدل ، الا تشير الى شيء . حسبما انها تشير الى كل شيء . ونحن اذا لم نفهم لقب المنصور على انه لا يعني غير " المنتصر " لا نستطيع ان نفسر اشياء مثل حركة الراونديه ، وهم قوم من خراسان قالوا بتناسخ الارواح . خرج هؤلاء على المنصور بمدينة الهاشمية واحاطوا بقصره وهم يقولون " هذا قصر ربنا "، فغضب المنصور لذلك وسجن بعضهم وقتل الاخرين (٤) .

---

(١) التنبيه والاشراف ، ص ٣٣٥ .

(٢) = = = ٣٤١ .

(٣) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٩٢ .

(٤) = = = ١٨٨ - ١٨٩ .
ابن العبري ، تاريخ ، ص ٢١٠ ، النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٤٦ - ٤٧ .

ويذكر الغزالي ان اتباع مذهب الراوندية قد اتخذوا لانفسهم شجرة امامية تبدأ بالعباس ه كما اتخذ الشيعة شجرة تبدأ بعلي - ثم يسلبه عبد الله بن العباس ثم علي بن عبد الله ثم محمد بن علي ثم ابراهيم ثم ابو العباس السفاح ثم المنصور [1] . فيكون المنصور في هذه الشجرة هو المهدى المنتظر .

بيد ان هذه المعلومات كلها لا تعطينا صورة واضحة مباشرة عن استعمال كلمة المنصور بمعنى " المهدى " . وانما هو نحصل على ذلك بصورة قاطعة واضحة ليس في الاخبار التي وردت عن اى مهدى ، او حركة او فكرة مهدوية ، في اى مكان ، اللهم الا في اليمن ، او الحركات المهدوية التي قام اليمانيون . فمن الاخبار التي وصلتنا من اليمن في ذلك بعين اليقين :

يقول الهمداني (المتوفى سنة ٣٣٤) في معرض كلامه عن جبل دامغ (او ضوران او مركبان) : " يقال انه جبل المنصور منصور حمير دل على ذلك قول الحارث الرائش حيث يقول في صفات المنصور . ذكر ذلك عبيد بن شرية الجرهمي عن ما حفظه من اخبار حمير واشعارهم من قصيدة له طويلة وهي ملحمة فقال عند منصور حمير

ومن مركبان يركب الارض عن يد	ودامغ اعني ذا الالاحة يحصر
فيطحنها طحن الرحى بثقالها	بجيش يضيق الحق عنه ويحصر

---

(١) فضائح الباطنية ، ص ١٤ .

... ودامغ هو ما بين صنعاء وذمار كثير الآثار الجاهلية ... وقصوره كانت ثلاثة مشيدة في الصخور العظام ... هدم هذه القصور الحبشة في ايام ملكهم لليمن واحرقوا اخشابها بالنار لعظمها . وقد قيل ان دامغ هو الجبل الاشهب ... وانه يؤهل ويعمر بعد خرابه الاول ويصير دورا ومناظر" [1] ويقول في مكان آخر عن هذا الجبل :

" ومن ان ذلك الجبل يظهر فيه اهل النار والخراب وتعوى فيه الذئاب ثم تعمر فيه الدور وتشيد فيه القصور ويؤهل فيكون من اعمار العصور . ويصير بين يديه رجل من اهله كأنه راجل بين يديه حاف متذلل له مساع في طاعته نافذ في امره . وتذال به الجبال من الموصل ويكون في اشهرها باليمن ." [2]

فهذا القصور مهدم كامل النمو . فهو جبار ، مرتبط اسمه باسم جبار . ولقد كان في هذا الجبل ثلاث قصور مشيدة في الصخور العظام ثم هدمها الاحباش . الا نستطيع اذا صح قدم هذه الرواية ، بأن هذا الهدم نشأ ابان الاحتلال الحبشي لليمن ذلك الاحتلال الذى حز كثيرا في نفوس اليمنيين . بعدما وقد تذوقوا الحكم المستقل في ظل دولتي سبأ وحمير الوطنيتين . بدأ حكم الاحباش لليمن في منتصف القرن الرابع الميلادى ، ثم رفع اليمنيون عنهم هذا النير (سنة ٣٧٥ م) بمساعدة الفرس وانتقام من الاحباش النصارى اقبلت الاسرة الحاكمة الجديدة على الدين اليهودى . ثم عاد الاحباش واحتلوا البلاد ، وعاد الفرس فحرروها ، (سنة ٥٧٠ م) وبقوا فيها حتى دخلها الفاتحون المسلمون (سنة ٦٣١ م) .

---

(١) الاكليل ، ج ٨ ، ص ٥٨ - ٦٠ .

(٢) = = = = ١١٨ - ١١٩ .

وفي هذا المجتمع اليمني كان من تدين باليهودية والنصرانية (اللتان تعتقدان بظهور المنتظر وبمجيئه على التعاقب) والمجوسية (التي تؤمن بكليهما) . وعلى هذه الصورة وجد الاسلام اليمن [١] . فلماذا لا تتسرب فكرة " المنتظر " هذه ، من هذه الاديان الثلاثة الى اليمنيين . ثم نحوه تفاؤلا بالمنصور ، او منصور حمير ، او منصور اليمن . وطالما كان الفرس هم الذين خلصوا اليمن مرتين من نير الاحباش البغيض فلماذا لا ينظرون اليهم كمخلصين ، ان يتبنوا مخلصا فارسيا . يقول النويري في معرض حديثه عن عيد النيروز عند الفرس " وحكى ابن المقفع انه كان من عاداتهم فيه ان يأتي الملك من الليل رجل جميل الوجه ، قد ارصد لما يفعله . فيقف على الباب حتى يصبح . فاذا اصبح دخل الملك من غير استئذان . فاذا رآه الملك ، يقول له : من انت ومن اين اقبلت وابن تريد وما اسمك ولاى شيء وردت وما معك فيقول : انا المنصور ، واسمي المبارك ، ومن قبل الله اقبلت ، والملك السعيد اردت ، وبالهناء والسلامة وردت ، ومعي السنة الجديدة [٢] . فهل يكون هذا " المنصور " مخلصا مصريا عند الفرس . وهذا قد يفسر لنا تصوف الراوندية حيال ابي جعفر المنصور كما ذكرنا سابقا . لسنا متأكدين ابدا من هذا الربط الذي ربما كان تماديا . ولكنه اذا صح ، فنحن ازاء عقدى مريح قبل ان يظهر الاسلام . ومهما يكن من امر فانا لا نقطع ابدا في هذه المسألة بل نتركها مسألة مكشوفة .

---

(١) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٧٤ .

(٢) نهاية الارب في فنون العرب ، (طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٧-١٣٤٩ ه) ، السفر الاول ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

واذا لم يصح دخول هذه الفكرة الى اليمن في عصور ما قبل الاسلام فيكون دخولها في العصور الاسلامية هو الدخل الوحيد . ومن الممكن ان يكون قبل بدءها في عهد اسلامي مبكر ثم حملها عبد الله بن سبأ فيما حمل معه الى الشمال ...

يقول نشوان بن سعيد الحميري (المتوفى سنة ٥٧٣ هـ = ١١١٧) في معرض كلامه عن كلمة المنصور : " المنصور لقب لقائم منتظر عند كثير من الناس وهو المهدي الذي تدعي كل فرقة منهم انه منها ... وقالت حمير في سيرها المأخوذة من علمائها هو رجل حميري سبأي الابوين يعيد الملك الى حمير بالعدل وقد ذكره اسعد تبع وغيره منهم قال اسعد في شعر رواه عبيد بن شرية الجرهمي :

ومن العجائب ان حمير سوف تعلو بالقهور
ويسودها اهل الحواشي من نضير او نضير

يعني النضر بن كنانة وهو قريش .

وشيرها المنصور من جنبي ازال (x) كالصقور
وهو الامام المرتجى المذكور من قدم الدهور

وقال اسعد

يعود من الملك ما قد ذهب	بمنصور حمير المرتجى
على الناس في عجمها والعرب (xx)	ويجمع بالعدل سلطانها

(x) اسم مدينة في اليمن (شمس العلوم ٥ ص ١٠) .

(xx) يجدر بنا ملاحظة رسالة هذا المهدي السامية والتي تعم الناس جميعا عربا وعجما .

وقال تبع الاقسين وهو ذو القرنين في شعر له ذكر فيه النبي م

وتظهر راية المنصور فيهم   على رأه ورآه بحد لام " [1]

فهذا مهدي يمني اقليمي عنصري ، فالتعصب فيه ضد عرب الشمال ظاهر واضح ؛ انها ثورة عرب الجنوب على حكم عرب الشمال . ومما هو جدير بالذكر ان شاعرة يمانية (ابنة سهل ابن غالب الهجيمي) اطلقت لقب المنصور [2] هذا على عبد الرحمن بن الاشعث ، المتمهدي اليماني الذي تلقب بلقب القحطاني ، كما ذكرنا سابقا . (راجع ص ١٣٠ - ١٣٢) . ونحن نستطيع ان نؤكد انه لا علاقة لهذا المهدي (المنصور) بالفرق الشيعية . ونفسر تسمي من تسمى به من دعاة مهديهم او مهديهم انفسهم او حتى مدعي الالوهية [3] منهم على انه كان براعة سياسية من الشيعة (سيما الاسماعيلية) قصدوا منها استغلال هذا الاسم الذي كان مشهورا في اليمن على انه اسم المخلص . يقول برنارد لويس [×] : " وهنالك مثل آخر يه لتحرر الاسماعيليين هو ان الداعي الاسماعيلي ابن حوشب عندما ذهب الى

---

(١) شمس العلوم ، ص ٤٩٣ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ١١ ، ص ٣٣٤ .

(٣) كما فعل ابو القاسم النجار الذي تلقب بالمنصور . (ابن حزم ، كتاب الفصل ، ج ٤ ، ص ١٨٧) .

(×) معتمدا على : الفقيه المعتزلي عبد الجبار بن محمد بن عبد الجبار ، كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد (مخطوط في اسطنبول في مكتبة شهيد علي باشا برقم ١٥٧٥ ، ورقة ١٤٣ ب)

اليمن وجد اهلها يعتقدون بظهور مهدي يدعى المنصور ، فلم يعترضهم بل ايدهم . وهو لم يؤيدهم في الحقيقة الا ليستخدم هذه العقيدة في صالح الاسماعيليين . ويذكر عبد الجبار ان الداعي وعد اليمانيين بظهور المهدي في اليمن"[1] .

فالمنصور والحالة هذه هو مهدي يمني ، مثله مثل القحطاني والسفياني تماما .

---

(١) اصول الاسماعيلية ، ص ١٩٦ – ١٩٧ .

الاحاديث السنية وفكرة المهدية :-

سارت الاحاديث المهدوية يتناقلها الناس بعضهم عن بعض ، واعتراها اثناء ذلك ما يعتري كرة الثلج التي تسقط من على جبل ثلجي . بدأت هذه الاحاديث وتناقلها الناس كل يضيف اليها حسب ما تشتهي نفسه . وتابع ظهور المتمهدين ، وتلاشوا بعد ان تركوا آثارهم بينة احيانا وغير بينة على كرة الاحاديث هذه . ومن المعلوم ان الاحاديث المهدوية لم تكن منفردة بهذا النهج ، الذي سارت عليه جميع الاحاديث . وبقيت الاحاديث المهدوية ، كغيرها ، تنتقل عن طريق الافواه حتى جاء القرن الهجري الثالث الذي دونت فيه جميع الاحاديث .

ولم يذكر المهدي في صحيحي البخاري (المتوفى ٢٥٦) ومسلم (المتوفى ٢٦١) ، كما لم يتعرض لها علماء الكلام السنيين[١] . وهذا دليل على ان ذوي المرتبة العلمية العالية في الاسلام السني لم يعيروا هذه الفكرة اي اهتمام . وما تبقى من رجال الصحاح الستة جمع ثلاثة بعض الاحاديث المهدوية ، وهم ابن ماجه (المتوفى ٢٧٣) وابو داود (المتوفى سنة ٢٧٥) والترمذي (المتوفى ٢٧٩) . هذا وجمع من المحدثين الطبراني (المتوفى ٣٦٠) والحاكم (المتوفى) وابو يعلى الموصلي (المتوفى ٣٠٧) ومجموعات هؤلاء الستة كانت المصدر الذي استعمله ابن خلدون في جمع مجموعته التي جاءنا بها[٢] . ومما لا شك فيه ان عدم ذكر البخاري ومسلم للاحاديث المهدوية مسألة لها مغزاها ، وربما كان ذلك

---

(١) Macdonald, Encyc. of Islam, vol.III, art. AL-MAHDI,p.113

(٢) المقدمة ، ص ٣١١ .

هو السبب الذي شجع ابن خلدون على نقد الاحاديث المهدوية ، لمنزلة صاحبي الصحيحين في نظره فوق النقد والشك [(١)]. قدم لنا ابن خلدون في مجموعة الاحاديث هذه اربعة وعشرين حديثا واضاف اليها ﴿ / ست اختلافات ومن بين هذه الاحاديث الثلاثين لم تسم الخليفة باسم المهدي الا اربعة عشر منها فقط ، واغلبية هذه الاحاديث الساحقة وضعت على لسان النبي ، وبعضها على لسان علي ﴿ .

والآن لنرى ما هي الصورة التي تعطينا اياها هذه المجموعة(التي جمعها الذين يمكن ان نصفهم بأنهم نصف متشددين). من الاحاديث المهدوية. ولقد سبق لنا ان ذكرنا قسما من هذه الاحاديث (اعلاه ص ٨٦ - ٨٧ ، ٩٢ - ٩٣) . والآن لنتفق تلك الاحاديث جانبا لانها وضعت في ظاسة معينة . ولنهتم بتلك الاحاديث التي وضعت في شكل مبهم والتي بقيت توقد فعالة ، تعلى منوالها خرج من خرج من المتمهدين . اي انها بقيت توذ ذات خطر في التاريخ الاسلامي بعد القرن الثالث الهجري .

وقبل ان نفصل ذلك علينا ان نعطي صورة نموذجية من هذه الاحاديث . تضم معظم هذه الاحاديث عادة ثلاثة اقسام (١) القسم الاول = تستهل الاحاديث المهدوية عادة بنبوءة على لسان النبي بما سيعم الاسلام من بلاء (٢) القسم الثاني = يبشر هذا القسم بظهور الخليفة . (٣) القسم الثالث = وهذا يذكر الخيرات التي ستعم الناس في حكم هذا الخليفة المثالي . وكمثل على ذلك نورد هذين الحديثين : " قال رسول الله صلعم لتملأن الارض جورا وظلما فاذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا من امتي اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي يملأها عدلا وقسطا

---

(١) المقدمة ، ص ٣١٢ .

كما ملئت جوراوظلما فلا تمنع السماء من قطرها شيئا ولا تدخر الارض شيئا من نباتها يلبث فيكم سبعا او ثمانيا او تسعا يعني سنين "[(١)] .

" قال رسول الله صلعم لا تقوم الساعة حتى تملأ الارض جورا وظلما وعدوانا ثم يخرج من اهل بيتي رجل يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا "[(٢)] .

من بين الاحاديث المهدوية لا يوجد الا حديث واحد ينفي فكرة المهدي هذه : " لا مهدى الا عيسى بن مريم "[(٣)] [(×)] . ويقف امام هذا الحديث حديث آخر يثبت المهدى : " من كذب بالمهدى فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كذب "[(٤)] . ويذهب حديث آخر الى ان المهدى " حق "[(٥)] . وهناك احاديث تؤكد ظهوره بصيغة اخرى : لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم[(٦)] ... (حتى يظهر) و " لو لم يبق من الدهر الا يوم[(٧)] ... (لظهر) . وهذه صيغة ثالثة لهذا التأكيد : " لا تذهب الدنيا[(٨)] او لا تقوم الساعة[(٩)] ... (حتى يظهر)

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٢١ - ٣٢٢ .
(٢) = = = ٣١٦ .
(٣) = = = ٣٢٢ .
(٤) = = = ٣١٢ .
(٥) = = = ٣١٤ .
(٦) المصدر نفسه ص ٣١٢ .
(٧) = = = ٣١٣ .
(٨) = = = ٣١٢ .
(٩) = = = ٣١٦و٣٢١ .

(×) علق القرطبي فيما بعد على هذا الحديث بقوله (التذكرة ص ٢٣١) : " وهذا لا ينافي ما تقدم في احاديث المهدى لان معناه تعظيم شأن عيسى بن مريم على المهدى اى انه لا مهدى الا عيسى لعصمته وكماله فلا ينافي وجود المهدى كقولهم ما فتى الا علي والله اعلم ."

وهذه اشارات تشير الى القذف بظهور المهدي الى المستقبل البعيد . ونستطيع ان نضيف اليها تلك التي يحين فيها النبي وقت ظهوره : في آخر امتي[١] او في آخر الزمان[٢] .

يكون ظهور هذا المهدي عقب حالة فوضى كبيرة تعم المسلمين . فيملأ الارض جورا وظلما[٣] . اذا قال الرجل الله قتل[٤] . وهنالك اشارات مطولة الى هذه الحالة - هي رد فعل لحادث سياسي وقع : ستكون فتنة لا يسكن منها جانب الا تشاجر جانب[٥]

ومعظم الاحاديث تلقبه بالمهدي ، اما البقية فتشير اليه باشارات مختلفة ، كأن تقول : رجل[٦] او خليفة[٧] او اميركم فلان[٨] . وتذكر بعضها ان اسمه هو نفس اسم النبي[٩] وتضيف بعضها ان اسم ابيه هو نفس اسم اب النبي[١٠] .

اما نسب هذا المهدي فهو : من ولد عبد المطلب[١١] . او منا اهل البيت[١٢] او من اهل بيتي[١٣] . او من عترتي[١٤] او مني[١٥] . او من بني فاطمة[١٦] . او من ولد فاطمة[١٧] . او سيخرج من صلب الحسين[١٨] . وجنبا الى جنب هذه الاشارات التي تعين

---

(١) المصدر نفسه ص ٣١٦ (١٠) ٣١٢، ٣٢١ .
(٢) = = = ٣١٦، ٣١٨ . (١١) ٣١٩ .
(٣) = = = ٣١٦، ٣٢١ . (١٢) ٣١٥، ٣١٨ .
(٤) = = = ٣١٩ . (١٣) ٣١٢، ٣١٣، ٣١٦، ٣٢١ .
(٥) = = = ٣٢٢ . (١٤) ٣١٦ .
(٦) = = = ٣١٢، ٣١٣، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢١ . (١٥) ٣١٢، ٣١٤، ٣١٥ .
(٧) = = = ٣١٦ . (١٦) ٣١٤ .
(٨) = = = ٣٢٢ . (١٧) ٣١٤ .
(٩) = = = ٣١٢، ٣١٣ . (١٨) ٣١٣ .

المهدى من آل البيت تشير السنة الاخرى بأنه من عامة الناس دون تخصيص ، فهو من امتي [١] . او يخرج في امتي [٢] .

اما صفات المهدى الجسمانية فهي : يشبه النبي في الخلق ولا يشبهه في الخلق [٣] . وهو اجلى الجبهة اقنى الانف . او اشم الانف اقنى اجلى [٤] .

اما مكان ظهوره ، فصلاة على الاماكن التي ذكرناها في الماضي ، المشرق ، اليمن ، المغرب ، فهنا تحبين للمالكيين فقط : ينزل على بيت المقدس [٥] (هذا نزل على غرار نزل المسيح) ، او يخرج من مكة [٦] .

ودستوره الذي يسير عليه في حكم الناس هو سنة النبي [٧] . هذا بينما يسير المهدى الامامي على سنة داود (راجع اعلاه ص ١١١) .
والمهدى احد سادات اهل الجنة ، اما بقية السادات فهم النبي وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين [٨] .

اما المدة التي سيملك ، او يحكم ، او يلبث فيها فتختلف بين حديث وآخر . فهي : سبع سنين [٩] . خمسا او سبعا او تسعا [١٠] . ان قصر فسبع والا فتسع [١١] . سبعا او ثمانيا . سبعا او تسعا [١٢] ان قصر فسبع والا فثمان والا فتسع .

---

(١) المصدر نفسه ص ٣١٧ ، ٣٢١ .
(٢) = = = ٣١٥ ، ٣٢١ .
(٣) = = = ٣١٣ .
(٤) = = = ٣١٥ .
(٥) = = = ٣١٧ .
(٦) = = = ٣١٩ .
(٧) المصدر نفسه ص ٣١٧ .
(٨) = = = ٣١٩ .
(٩) = = = ٣١٥ ، ٣١٧ .
(١٠) ، (١١) = = ٣١٥ .
(١٢) = = = ٣١٦ .

خمسا واثنتين . سبعا او ثمانيا او تسعا[١] .

والآن لنأت الى القصد[×] الذى سيرسل الله من اجله هذا المهدى . ونحن اذا استثنينا من هذه المجموعة حديثا واحدا ورد فيه عن المهدى انه " يضربهم حتى يرجعوا الى الحق ."[٢] فان لارسالته رسالة رحمة تعم المؤمنين . بعكس المهدى الشيعي الذى تكلمنا عنه قبلا وقلنا ان احد القابه هو " صاحب السيف " .

والعبارات التي تصف رسالة المهدى على نوعين . النوع الاول ، يبسط هذه الرسالة بايجاز ، "يملاء الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا"[٣] . وهذه العبارة استعملت كثيرا في هذه المجموعة ، كما استعملت في غيرها ، مع بعض التغيير البسيط . ومن الواضح ان عمل المهدى هذا كان استجابة لما كان يشعر به المسلمون - سيما الاتقياء والزهاد - من ظلم الحكام وخروجهم من جادة الطريق المستقيم . ولم يتعرض هذا النوع كما تعرض النوع الثاني لاى تفصيل لرسالة المهدى . ونحن لا نشك في ان هذا النوع كان اسبق - من حيث الزمن - من النوع الثاني . النوع الثاني ، وهذا متأخر في الوقت ، انه يشير الى الوقت الذى اتسعت فيه امبراطورية الاسلام وتباينت ثروات الناس ، واخذت تتذمر فيه الطبقات المحرومة ، لذلك اخذ دعاة المهدية ، واخصام الخلافة ،

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٢١ .
(٢) = = = ٣٢١ .
(٣) = = = ٣١٦،٣١٥،٣١٣ .
(×) بواسطة دراسة الحديث المهدوى نستطيع ان نتعرف الى حقيقة الاسباب التي كانت تدفع الناس الى الثورة . الم تكن هذه الاحاديث البرامج السياسية الاصلاحية التي كان يتقدم بها مرشحوا كرسي الخلافة واعوانهم الى الرأى العام الاسلامي .

يمنونهم بأماني معسولة واحلام جميلة تظهر بظهور هذا المهدى : " فيجيء (الرجل) اليه فيقول يا مهدى اعطني قال فيحثو له في ثوبه ما استطاع ان يحمله "[١] وهو " يحثو المال حثوا لا يعده عدا "[٢] . او " يقسم المال ولا يعده "[٣] . و " فتنعم امتي فيه نعمة لم ينعموا بمثلها قط تؤتي الارض اكلها ولا يدخر منه شيء والمال يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدى اعطني فيقول خذ "[٤] . وبعد و " يسقيه الله الغيث وتخرج الارض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الامة "[٥] و " تنعم فيها (مدة حكم المهدى) امتي نعمة لم ينعموا بمثلها ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الارض شيئا من النبات والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدى اعطني فيقول خذ "[٦] . وهنالك احاديث جمعت بين النوعين الاول والثاني كهذا " ينزل الله عز وجل له القطر من السماء وتخرج الارض بركتها وتملأ الارض منه قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما "[٧] . او " يملأها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما فلا تمنع السماء من قطرها شيئا ولا تدخر الارض شيئا من نباتها "[٨] . ولا يخفى على احد اثر هذه الوعود الجميلة - التي لم تنفذ قط - التي كان يكيلها دعاة المهدية ، بل دعاة الخروج لجموع الشعب الساذجة البسيطة ، ثم الجموع المحرومة ! ومما كان يزيد في حماس هؤلاء الجماهير ذلك الوعد بالانجاز السريع لهذه الوعود . فهذا المهدى " يصلح الله به في ليلة "[٩] . ثم ليلة واحدة ، وكل شيء ينقضي .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣١٥ .
(٢) = = = ٣١٦ .
(٣) = = = ٣١٦ .
(٤) = = = ٣١٥ .
(٥) = = = ٣١٦ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٢١ .
(٧) = = = ٣١٧ .
(٨) = = = ٣٢١ .
(٩) = = = ٣١٨ .

وهكذا دخلت احاديث المهدى في الكتب الصحيحة ، ولم يكن على الذين تسول لهم انفسهم الخروج على الدولة الا ان يدعوا امام الخلق ان هذا الحديث المهدوى او ذاك ينطبق عليهم . واما مسألة ادعاء الانتساب لآل البيت فأمر يسير جدا (×) .

ان مجموعة الاحاديث التي جمعها لنا ابن خلدون من هؤلاء الستة تكون قسما من الاحاديث المهدوية التي كانت تتناقلها الالسن ولكنها لم تضم طبلنا جميع الاحاديث . فهؤلاء الستة تشددوا بعض التشدد لا لذلك لم تحو مجموعاتهم جميع الاحاديث المهدوية التي كانت تتناقلها الالسن عبر الاجيال . ومما لا شك فيه ان كثيرا من الاحاديث المهدوية ضاعت لعدم تدوينها نتيجة لتشكك كتاب الحديث في صحتها .

غير ان بعض الجماع الغير متشددين ، وكتاب الاساطير نقلوا لنا بعض هذه الاحاديث التي لولاهم لم نعثر لها على اثر ، كما فعل المطهر بن المطهر المقدسي في كتابه البدء والتاريخ الذى الفه سنة ٣٥٥ هـ . اذ انه جاءنا بمجموعة لا بأس بها ، مع انه لا يسلم بصحتها كلها . ومن الجدير بالذكر اننا في مجموعة المطهر هذه نرى ان شخصيات الهاشمي والسفياني والمهدى والقحطاني قد اصبحت شخصيات مستقلة لكل منها علاقة بالاخر . كما اصبحت كلها من علامات (او اشارات) الساعة . هذا وتحورت بعض هذه الشخصيات المهدوية فاصبحت تقوم بدور الدجال الملعون الذى يستحق محاربة المهدى له وتطهير الارض

(×) راجع سيرة المتمهدى ابن تومرت (٤٧٠ - ٤٨٠ — ٥٢٤ هـ) : محيي الدين المراكشي ، تاريخ الاندلس ، ص ١١٥ وما بعدها .

ــنه [١] .

ولقد اجهد كتاب المسلمين ومحدثيهم انفسهم في حل وربط اوقعتهم بها الظروف : علاقة هذا المهدى بعيسى . فلقد نشأ الاعتقاد بعودة المسيح قبل ان ينشأ الاعتقاد بظهور المهدى . ولما كانت رسالتهما قريبة متشابهة ، لذلك وقع هذا الاختلاف الذى يدور حول مشكلتين : ايهما يظهر اولا ، وايهما افضل من صاحبه [×] .

والآن لننتقل الى مجموعة هامة من الاحاديث المهدية تلك المجموعة التي جمعها الامام ابو عبد الله القرطبي (المتوفي ٦٧٩ = ١٢٧٢) والتي وصلتنا مختصرة اختصرها عبد الوهاب الشعراني (المتوفي ٩٧٣ = ١٥٦٥) . يقول مكدونالد ان ابن خلدون قد رأى بنفسه عن دمجها في مجموعة الاحاديث التي جمعها [٢] . والواقع ان هذه المجموعة تضم كثيرا من الاحاديث التي ضمتها مجموعة ابن خلدون . ولقد اضافت عليها احاديث ظهرت حديثا استجلبتها لحوادث هامة مر بها العالم الاسلامي .

فمنذ تدوين الاحاديث في الكتب الستة ظهر في العالم الاسلامي - علاوة على ظهور المهدى الفاطمي وابن تومرت والاحاديث المتعلقة بهما ، والتي كان من نتيجتها وجود احاديث تقول بظهور المهدى في المغرب - كما

---

(١) المطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٦١ - ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٤ - ١٨٤ .

(٢) Encyc. Of Islam, vol. III, art. AL-MAHDI, p. 113

(×) لقد اولى Hurgronje هذه المشكلة عناية كبيرة ، راجع ذلك Vers. Geschriften, vol. I, p. 158 - 162, 165 - 6.

حادثتان هامتان جدا تركتا اثرهما في الاحاديث المهدوية : الحروب الصليبية ، وتقهقر المسلمين المستمر امام النصارى في اسبانيا . والقرطبي اندلسي مات في وقت لم يبق للمسلمين فيه بالاندلس غير غرناطة . وكما يقول مكدونالد لقد استشعر المسلمون حاجتهم الى مهدى اقوى من المسيح . لقد طالب الوضع بطلا او مخلصا اسلاميا صرفا ، غير المسيح الذي كانت مهمته قتل الدجال (١) .

وطالما تبدل الوضع الآن ، واصبحت الاحوال غير الاحوال ، وطالما ان الطائفة التي اصبح يحاربها المسلمون اليوم ، اصبحت غير تلك التي عانوها قبلا ، فلماذا لا يتغير مفهوم هذا المهدى . لقد كانت رسالته في الماضي " ملء الارض عدلا كما ملئت جورا " او الاتيان بالخيرات او قتل السفياني ومن معه من الكلبيين .. ولكن ما نفع هذا كله اليوم .. لم يتخل المسلمون من هذه الاحاديث ، بل ابقوا عليها ، والى جانبها ظهرت الاحاديث التي اخذت تصور المهدى بصورته الجديدة ، وهكذا اصبح المهدى بطلا اسلاميا ضد النصرانية . وبدلا من ان يحتل مكة او المدينة او ... اصبح عليه ان يدخل روما والقسطنطينية . وبدلا من ان يظهر من المشرق او سوريا او الحجاز ، اصبح لزاما عليه ان يظهر في المغرب .

ومن البديهي ان هذه المجموعة ، كسابقتها ، لم تتكون في عشية وضحاها ، ولا نعتقد ان القرطبي خلقها من وحي الخيال . وانما قد تكونت وتجمعت في مدة طويلة واشتركت في حبكها عدة اساطير قديمة . وعندما جمعها القرطبي ، جمع معها المجموعة بل المجموعات ، القديمة ايضا تلك الكتب التلجية التي بدأها المختار قبل ستة قرون ، جيلا ضخما .

---

(١) Encyc. of Islam, vo.III, art. AL-MAHDI, p. 114.

وقبل ان نعرض الصورة التي تضمنها اياها مجموعة القرطبي - التي هي تعبير عن تطور الفكرة في المغرب والاندلس - علينا ان نلفت النظر الى اننا نؤرخ لهذه الفكرة في بلاد سنية . هذا وسوف لا نشير الى اهتمام للاحاديث الشريفة القديمة [*] التي نسخها القرطبي في مجموعته . ولقد سبق لنا املاء ان ابدينا بعض الاهتمام تجاه بعض نواحيها سيما فيما يختص بأحاديث الصفاني . ومما هو جدير بالذكر ان جميع الاحاديث المهدوية التي جاء بها القرطبي تشير الى ان المهدي سيكون من اهل البيت.

والآن نحاول اعطاء صورة عن هذه الاحاديث المهدية التي كانت نتيجة للحروب الصليبية ولانهزام المسلمين في الاندلس ، حيث اصبح المهدي بطلا فاتحا يقهر بلاد الكفار ويفتحها : " وفي الحديث ان رسول الله صلعم قال ستفتح بعدي جزيرة تسمى بالاندلس فيتغلب عليهم اهل الكفر فيأخذون اموالهم واكثر بلادهم ويسبون نساءهم واولادهم ويهتكون الاستار ويخربون الديار وترجع اكثر البلاد فيافي وقفارا ويتخلى اكثر الناس عن ديارهم واموالهم فيأخذون اكثر الجزيرة ولا يبقى الا اقلها ويكون في المغرب الهرج والخوف ويستولي عليهم الجوع والغلاء وتكثر الفتنة ويأكل الناس بعضهم بعضا فعند ذلك يخرج رجل من المغرب الاقصى من ولد فاطمة بنت رسول الله صلعم وهو المهدي القائم في آخر الزمان وهو اول اشراط الساعة " ثم يتابع القرطبي قوله فيقول : " وقد شاهدنا جميع هذه الامور وعاينا في بلادنا الا خروج المهدي " [1] . وهذا الحديث - كما هو ظاهر للعيان - وضع كرد فعل لحالة المسلمين في

---

(١) التذكرة ، ص ٢٣٣ .

(*) للاطلاع على هذه الاحاديث راجع التذكرة ص٢٢٩ - ٢٣٣ .

الاندلس . ولكنه لا يذكر في هذا الحديث كيفية تحرير الاندلس .
بل يجيء ذلك لحديث توفيقي يحاول ان يوحد فيه عدة وجهات نظر
(احاديث) مختلفة . يخرج المهدى ومن معه (الظاهر ان خروجه
هنا من المشرق) ويأتي الى مدينة انطاكية "فيكبرون عليها ثلاث
تكبيرات (*) . فيقع سورها في البحر بقدرة الله " ثم يحمل المسلمون
الذهب والسبي في هذه المدينة ويبنون فيها المساجد "وتحصر بمحاربة
اهل الاسلام"، ويفتحون بعدها القسطنطينية (××) . وروما (×××) . وكنيسة
الذهب . حيث يسترد المهدى الكنوز والاموال التي نهبها ملك الروم
قيصر من بيت المقدس . وهنا يترك القرطبي الكلام عن المهدى ويتكلم
عن القدس وكيف بناها سليمان على يد الجن في حديث طويل
وينتقل الى الكلام عن نهب القدس وتخريبها على يد بختنصر ثم عن
الاسر البابلي وكيف ان الله انقذهم منه على يد ملك من ملوك الفرس .
الذي رد اليهم اموالهم . ولكن بني اسرائيل خالفوا ما عاهدوا الله عليه وعادوا
وعادوا الى المعاصي . وهكذا سلط عليهم ملك الروم قيصر فغزاهم ودمرهم
ونهب كنوز بيت المقدس واودعها كنيسة الذهب . حيث ستبقى الى
ان يستردها المهدى (١) . والاثر اليهودي في هذه الاحاديث

(*) التذكرة . ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

(×) لاحظ علاقة ذلك بالخرافة اليهودية القديمة عن سقوط اسوار القدس على اثر النفخ في الابواق .

(××) مما هو جدير بالذكر هنا ان فتح القسطنطينية اصبح من اشراط الساعة (راجع المطهر المقدسي . البدء والتاريخ . ج ٢ . ص ١٨٤ وما بعدها . تذكرة القرطبي . ص ٢٣٦) .

(×××) والظاهر ان تمنع هذه المدينة امام المسلمين الحرب ثم هجماتها ضدهم ومساعدتها الصليبيين غير في قلوبهم كرها شديدا لها . ففي خرافة يرويها ابن الفقيه (كتاب البلدان ص ١٤٦-١٤٧) نقلا عن كعب الاحبار ان القسطنطينية شمتت متجبرة بخراب بيت المقدس فانتصر الله للثانية وغضب من الاولى ووعدها العذاب قبل يوم القيامة قائلا "وعزتي وجلالي لانزعن حليك وحريرك وخمرك وخميرك ولا تركتك لا يصيح فيك ديك ... فانه طال ما اشرك بي فيك وعبد فيك غيري " ثم تعد هذه الخرافة المسلمين بفتحها والاستيلاء على كنزها . (×××) هنالك خرافة قديمة تقول ان باني روما قد وضع فيها تمثال محارب عربي وقال لهم "لا تخافوا على مدينتكم حتى يأتيكم قوم على هذه الصفة فهم الذين يفتحونها" (ابن الفقيه . كتاب البلدان . ص ١٤٩) .

لا يحتاج الى اى توضيح او تفسير . هذا ويعقد القرطبي بابا آخر لا ذكر فيه للمهدى ، يذكر فيه مفصلا كيفية فتح القسطنطينية ويعدد الكنوز والخيرات والسبايا التي سيغنمها المسلمون (١) . والتي ربما كانت من ضروب الدعاية التي استعملها المسلمون في الدعاوة للحرب في الحروب الصليبية . واخيرا يعود القرطبي (او يعود به اسلوبه التوفيقي) الى الاندلس . فلقد سبق لعثمان بن عفان ان اخبر ان فتح القسطنطينية سيكون من قبل الاندلس . وقبل ان نتابع قصة ذلك يتذكر (القرطبي) انه اوقع نفسه في مأزق (تناقض) حين ، فيقول " حديث ابي هريرة اول الباب يدل على انها (اى القسطنطينية) تفتح بالقتال ، وحديث ابن ماجه يدل على انها تفتح بغير ذلك ، ولعل فتح المهدى لها يكون مرتين مرة بالقتال ومرة بالتكبير ". نعم لقد لاحظ التناقض بخصوص فتحها بالقتال او بالتكبير ، ولكنه لم يلاحظ انه ذكر انها تفتح مرة من طريق المشرق واخرى من طريق المغرب ! ومهما يكن من امر " فان المهدى اذا خرج بالمغرب انحاز اليه اهل الاندلس فيقولون يا ولي الله انصر جزيرة الاندلس فقد تلفت وتلف اهلها وتغلب عليه اهل الكفر والشرك من ابناء الروم " وهكذا انقسم تنضم الى المهدى جميع قبائل المغرب " فيعبرون البحر حتى ينتهوا الى حمص وهي اشبيلية فيصعد المهدى المنبر في المسجد الجامع ويخطب خطبة بليغة فيأتي اليه اهل الاندلس فيبايعه جميع اهل الاسلام فيها ثم تخرج بجميع المسلمين متوجها الى بلاد الروم ليفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الروم ... ثم انه ومن معه يصلون الى كنيسة الذهب فيجدون فيها اموالا عظيمة فيأخذها المهدى فيقسمها بين الناس بالسوية ... "

---

(١) التذكرة ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

ثم يأخذ القرطبي في وصف هذه الغنائم ، وفجأة يختفي ذكر المهدى من حديثه ويسترسل في وصف هذه الاسلاب ، وكيف ان المسلمين اذا اختلفوا فلي تقسيمها مزقهم الله شر ممزق . ثم ينهي تلك الرسالة في صمت دون ان يذكر شيئا عن النتيجة الحسنة التي وصل اليها العالم الاسلامي تحت ظل راية المهدى .(١)

الفرق بين النظرتين (للمهدى) الشيعية والسنية :-

ما تقدم نرى انه كان بين اهل السنة ، كما كان بين اهل الشيعة ، اعتقاد بهذا المهدى . وفضلا عن كون الفكر السني قد تأثر كثيرا بفكرة الشيعة عن هذا المهدى ، فاننا نقع في خطأ فاحش اذا لم نستطع ان نميز بين النظرتين الشيعية ، والسنية لفكرة المهدى:

١) - صلاحيات المهدى :- ما تقدم - سيما من دراسة الاحاديث التي جمعها الكليني - يظهر ان الشيعة رفعوا كثيرا من قيمة مهديهم . لقد نظروا اليه نظرة تمس النبوة ، فهو معصوم ، ورسالته هي استمرار للوحي الالهي الذى كان يهبط على محمد . وحتى انه قد يأتي بأشياء تنسخ ما جاء به النبي - كما قالت الاسماعيلية . وهزأ اهل السنة بفكرة عصمة احد غير الانبياء (×) . فرسالة المهدى عندهم لا تتعدا السير على

---

(١) التذكرة ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(×) راجع نقد الغزالي لمسألة عصمة الامام في امكنة كثيرة متفرقة من كتابه : "فضائح الباطنية" ففي ص ٧٥ ، مثلا ، يقول " لا يظنن ظان انا نشرط في الامامة العصمة فان العلماء اختلفوا في حصولها للانبياء والاكثرون على انهم لم يعصموا من الصغائر ".

سنة النبي ، او احياء هذه السنة التي عدت عليها عوادي الزمان[1].

٢) - الاعتقاد بالمهدي — فالاعتقاد به عام بين جميع طبقات الشيعة بل هو من الاعتقادات الاساسية جدا عندهم ، ويؤكد عليه كبار علمائهم . هذا بينما لم يتعد الاعتقاد بالمهدي عند اهل السنة جماعة الشعب وحتى عند هذه الجماهير لم يتعد حد الاماني ، ولم يصل قط الى حد الاعتقادات الدينية الاساسية[2].

وهذا الموضوع يضطرنا الى بحث مسألة علاقة كبار رجال العلم السنيين من هذه الفكرة .

لم يتعرض المؤرخون لهذه الفكرة ، انما كانوا يدونون حوادث ظهور هذا المتمهدي او ذاك ، او يذكرون هذا الحديث المهدوي او ذاك بطريقة مكشوفة دون اي تعليق على صحة هذه الفكرة او عدم صحتها .

هذا ولم يذكر البخاري ومسلم في صحيحيهما ايا من الاحاديث المهدوية ، وكذلك لم يتعرض لها احد علماء الكلام السنيين ، حتى في معرض كلامهم عن الساعة وشاراتها[3] .

---

(١) راجع ، Macdonald, Encyc. of Islam, vol.III, art. AL-MAHDI, p. 112 - 113.

(٢) راجع : رونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص ٢٣٢ . Grunebaum, Med. Islam, p. 194.

(٣) Macdonald, Encyc. of Islam, vo.III, art. AL-MAHDI, p.113

علماء السنة ونقد الفكرة : ـ

غير ان ذلك لا يعني انه لم يقم بين ذوي العقول الناضجة من اهل السنة من ينقد هذه الفكرة . فهذا ابو العلاء المعري يقول في الامام المنتظر :

يرتجي الناس ان يقوم امام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى العقل مشيرا في صبحه والمساء[1]

ولكن يستطيع قائل ان يقول ان نقد المعري ليس خاصا بفكرة المهدي العامة ، بل هو نقد لفكرة المهدي عند الشيعة الاسماعيلية (الامام الناطق) وهذا صحيح . ومن هذا النوع نستطيع ان نعد نقد (او تهكم) الغزالي لفكرة انتظار الاموييين او الراوندية او الباطنية لامامهم ، انه نقد مبعثه التعصب الطائفي [x] . ولكننا لا نستطيع ان نعتبر نقد ابن خلدون من هذا النوع .

يبدأ ابن خلدون حديثه عن المهدي (او الفاطمي كما يسميه) بقوله : " اعلم ان في المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على مر الاعصار انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من اشراط الساعة الثابتة في الصحيح على اثره وان عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته ".[2]

---

(١) فضائح الباطنية ، ص ١٤ . (٢) المقدمة ، ص ٣١١ .

(x) للاطلاع على مصادر فكرة الغيبة وتطور الفكرة راجع : ياقوت ، معجم الادباء ، ج ١ ، ص ٣٢٣ - ٣١٤ .

بهذه العبارات يقدم لنا ابن خلدون موضوع المهدى . ثم يأخذ في سرد الاحاديث المهدوية ينقدها واحدا واحدا حسب الناحية القديمة في نقد الحديث : نقد الرواة . وبعد ان ينتهي من ذلك يظهر شكه في صحة نسبة هذه الفكرة الى النبي بقوله : " فهذه جملة الاحاديث التي خرجها الائمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد الا القليل والاقل منه ." (١) وبعد ذلك ينتقل الى الكلام عن فكرة المهدى عند الصوفيين حيث يذكر منذ البدء انهم - الصوفيين - اخذوها من الشيعة (٢) . وكما شك في صحة نسبة هذه الفكرة الى النبي ، كذلك شك في نوايا الذين كانوا يحتزمون حركات اصلاح في شمال افريقيا بادعاء المهدية ، وقارنهم مع غيرهم من المصلحين الذين لم يدعوا ذلك بقوله " وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعاة الى الحق والقيام بالسنة لا ينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره ." (٣) ونحن اذ نكبر في ابن خلدون جرأته على نقد هذه الفكرة التي كان الايمان بها عاما ، وحسن عرضه لاعتقاد اهل زمانه بها ، غير اننا نؤكد ان فهمه لماهية هذه الفكرة كان ناقصا جدا .

خاتمة واعتذار :-

هذه قصة فكرة المهدى ، تلك القصة التي بدأها المختار كدعاية سياسية يصل بواسطتها الى كرسي الحكم ، والتي انتهى

---

(١) المقدمة ، ص ٣٢٢ .
(٢) = = ٣٢٢-٣٢٣ . (٣) المقدمة ، ص ٣٢٩ .

بهـا الطاف بأن اصبحت ـ كما وصفها Hurgronje . ظاهرة دينية معقدة جدا " [1] . غير ان دخولها حيز الفكر الديني الصرف لم يفقدها طابعها السياسي ، بل انها استمرت منذ نشأتها حتى ايامنا هذه ذات خطر كبير في الميدان السياسي [2] . نعم ، استمرت لتشهد لنا على انفسنا اننا لا نزال اطفالا في الميدان السياسي . ولسنا نميل الى القول مع احمد امين ان هذه الفكرة كانت سببا فيما اصاب المسلمين من البلايا [3] . بل السبب اعمق من ذلك : انها العقلية السقيمة التي تقبلت هذه الفكرة وامثالها من المخدرات ، العقلية التي لم تستطع الى الآن ان تفرق بين شيئين متناقضين : الدين والسياسة . والواقع ان قصة المهدي هذه خير عبرة لما عاناه المجتمع الاسلامي من جراء المزج بين الدين والسياسة ، فليعتبر ألوا الألباب .

وقبل ان انهي هذه الخاتمة ، ارى لزاما علي ان اتقدم بالاعتذار لما ابديته من تقصير كبير في ايفاء هذا الموضوع الجوهري حقه : فعلاوة عن تقصيري في بحث المواضيع التي طرقتها ، فقد تركت فصولا كاملة لها قيمتها في دراسة هذا الموضوع ، كعلاقة الصوفيين بالفكرة [4] ، والدور الهائل الذي لعبته الشعوبية [5] ، والاقليمية في تطورها .

---

(1) Vers. Geschriften, vol. I, p. 172

(2) راجع فان فلوتن ، السيادة العربية ، ص ١٠٩ .

(3) راجع ضحى الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ – ٢٤٦ .

(4) راجع ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣١١ ، ٣٢٢ – ٣٢٩ . ابن حزم ، كتاب الفصل ، ج ٤ ، ص ١٨٠ . Browne, A Lit. Hist. of Persia, vol. III, p. 463 - 70

(5) مثلا احد الاحاديث التي يرويها الكليني (اصول الكافي ص ١٩٢) يذكر " عن ابن ابي يعفور قال سمعت ابا عبد الله ع يقول ويل لطغاة العرب من امر قد اقترب قلت جعلت فداك كم مع القائم من العرب قال نفر يسير قلت والله ان من يصف الامر منهم لكثير قال لا بد للناس من ان يمحصوا ويميزوا ويغربلوا ويستخرج في الغربال خلق كثير " .

((القســـــــم الـرابــــــــع))

---

*

المصـــــادر

اولا :- المصادر الاولية -

١)- ابن الاثير ، (المتوفى ٦٠٦ هـ) : (أ) الكامل في التاريخ ، (نشر كارلوس يوهانس تورنبرج ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٦٦م) ، (ب) النهاية في غريب الحديث والاثر ، (طبع مصر ، ١٣١١هـ) .

٢)- الاصبهاني ، ابو الفرج (المتوفى ٣٥٦ هـ) ، الاغاني ، (تصحيح الشيخ احمد الشنقيطي ، مطبعة التقدم ، مصر ،) .

٣)- البغدادي ، (المتوفى ٤٢٩ هـ) ، الفرق بين الفرق ، (نشر محمد بدر ، مطبعة المعارف ، مصر ، ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ م) .

٤)- البغدادي ، الشيخ عبد القادر بن عمر (المتوفى ١٠٩٠ هـ) ، خزانة الادب ، (المطبعة الميرية ، ببولاق ،) .

٥)- البيروني ، (المتوفى ٤٤٨ هـ) ، الآثار الباقية ، (نشر س . ادوارد سخو ، ليبزج ١٨٧٨ م) .

٦)- البلاذري ، (المتوفى ٢٧٩ هـ) ، انساب الاشراف ، (ا) الجزء الرابع - القسم الثاني - ، (نشر ماكس شلوسنجر ، مطبعة الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٣٨ م) ، (ب) الجزء الخامس ، (نشر س . د . ف - غويتين ، مطبعة الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٣٦ م) ، (ج) الجزء الحادي عشر ، (نشر الوارد ، ليبزج ، ١٨٨٣ م) .

٧)- الثعلبي ، (المتوفى ٤٢٧ - ٤٣٧ هـ ?) ، قصص الانبياء ، (مطبعة المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٠١ هـ) .

٨)- ابن حزم ، (المتوفى ٤٥٦ هـ) ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، (طبعة مصر ، ١٣٢١ هـ) .

/..

٩) - الحميرى ، نشوان بن سعيد ، (المتوفى ٥٧٣ هـ) ، منتخبات من كتاب شمس العلوم ، (نشر عظيم الدين احمد ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩١٦ م) .

١٠) - ابن خلدون ، (المتوفى ٨٠٨ هـ) ، (أ) المقدمة ، (مصر) (ب) كتاب العبر ، (المطبعة المصرية ، بولاق ، ١٢٨٤ هـ) .

١١) - ابن دريد ، (المتوفى ٣٢١ هـ) ، الاشتقاق ، (نشر فرديناند وستنفلد ، غوتنغن ، ١٨٥٤ م) .

١٢) - ابن سعد ، (المتوفى ٢٣٠ هـ) ، الطبقات الكبير ، (تصحيح وطبع ادوار سخو ، طبعة بريل ، ليدن ، ١٣٢٢ هـ) .

١٣) - الطبرى ، (المتوفى ٣١٠ هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، (نشر دى غويه ، ليدن ، ١٨٧٩ - ١٩٠١ م) .

١٤) - ابن الطقطقي ، (المتوفى ٧٠١ هـ) ، الفخري في الاداب السلطانية ، (نشر الوارت ، غريفزولد ، ١٨٥٨ م) .

١٥) - ابن عبد ربه ، (المتوفى ٣٢٨ هـ) ، العقد الفريد ، (طبعة مصر) .

١٦) - ابن العبرى ، (المتوفى ٦٨٥ هـ) ، تاريخ مختصر الدول ، (نشر الاب انطون صالحاني اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٩٠ م) .

١٧) - الغزالي ، (المتوفى ٥٠٥ هـ) ، فضائح الباطنية ، (نشر اجناس جولدتسيهر ، ليدن ، ١٩١٦ م) .

/..

١٨) - ابن الفقيه ، (المتوفى ٢٩٠ هـ) ، مختصر كتاب البلدان ،(نشر دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م) .

١٩) - القرطبي ، (المتوفى ٦٧١ هـ) ، التذكرة - وصلتنا مختصرة ، اختصرها عبد الوهاب الشعراني (المتوفى ٩٧٣ هـ) - (طبعة مصر ،) .

٢٠) - القزويني ، (المتوفى ٦٨٢ هـ) ، آثار البلاد واخبار العباد ، (نشر فرديناند وستنفلد ، غوتنغن ، ١٨٤٨ م) .

٢١) - كثير عزة ، (المتوفى ١٠٥ هـ) ، ديوانه ، (جمع ونشر الشيخ هنري بيرس ، مطبعة جول كربونل ، الجزائر ، ١٩٢٨ م) .

٢٢) - الكليني ، (المتوفى ٣٢٨ هـ) ، اصول الكافي ، (طبعة فارس ، ١٣١١ هـ) .

٢٣) - المراكشي ، محي الدين بن علي التميمي ، تاريخ الاندلس (الفه ٦٢١ هـ) ، (طبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٤ هـ) .

٢٤) - المسعودي ، (المتوفى ٣٤٥ - ٦ هـ) ، (أ) مروج الذهب ، (نشر وترجمة س . بربي دو مينار وبافي دو كورتي ، باريس ، ١٨٦١ - ١٨٧٦ م) .
(ب) التنبيه والاشراف ، (نشر دي غويه ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٩٣م) .

٢٥) - المقدسي ، المطهر بن المطهر ، البدء والتاريخ (الفه ٣٥٥ هـ) ،(نشر كلمان هوار ، باريس ، ١٨٩٩ - ١٩١٩ م) .

٢٦) - المقدسي ، (المتوفى ٤٠٠ هـ ؟) ، احسن التقاسيم ، (نشر دي غويه ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ م) .

٢٧) - ابن منظور ، (المتوفى ٧١١ هـ) ، لسان العرب ، (المطبعة الكبرى الميرية ، بولاق ، مصر ، ١٣٠٠ هـ) .

./..

٢٨) - النوبختي ، (المتوفى ٣١٠ هـ) ، فرق الشيعة ، (عني بتصحيحه هـ . ريتر ، مطبعة الدولة ، استانبول ، ١٩٣١ م) .

٢٩) - الهمداني ، (المتوفى ٣٣٤ هـ) ، الاكليل - الجزء الثامن - حرره وعلق على حواشيه نبيه امين فارس ، برنستن ، ١٩٤٠ م) .

٣٠) - ياقوت ، (المتوفى ٦٢٦ هـ) ، (أ) معجم الادباء ، (نشر د . س . مرجليوث ، مطبعة هندية ، مصر ١٩٢٣ م) . (ب) معجم البلدان ، (نشر فردیناند وستنفلد ، ليبزج ، ١٨٦٩ م) .

٣١) - اليعقوبي ، (المتوفى ٢٨٤ هـ) ، تاريخ ، (نشر هوتسما ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٣ م) .

ثانيا : - المصادر الثانوية :-

(أ) العربية :-

١) - امين ، احمد ، ضحى الاسلام ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦ م) .

٢) - جوزى ، بندلي ، تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، مطبعة بيت المقدس ، القدس ، ١٩٢٨ م) .

(ب) المعربة :-

١) - جولد تسيهر ، اجناس ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، (نقله الى العربية وعلق عليه : محمد يوسف موسى ، عبد العزيز عبد الحق ، علي حسن عبد القادر ، طبع دار الكاتب المصرى ، القاهرة ، ١٩٤٦ م) .

../.